الفصل السابع

الصادرات الأندلسية قبل سنة 1212

تماماً، وكما استقبل الأندلس السلع من جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط وما بعده، كذلك فإن صادرات الأندلس قد انتشرت بعيداً. فقد كتب شعراء بغداد أبياتاً يطرون فيها على التين الملقي الطيب، في حين أن التروبادور والفرنسيين قد حاكوا إشاراتهم إلى حرائر الماريا الثمينة والغالية في أغانيهم. إن أطياف أو آثار الصادرات الأندلسية قد شملت أنواعاً كثيرة من البضائع، بعضها كان مواد ترف مثل العنبر وبعضها كان مألوفاً وعملياً مثل زيت الزيتون والكمون؛ وبعضها كان مادة خام مثل مشاقة الحرير والجلد والنحاس، وبعضها صنع من قبل مهنيين ذوي مهارة عالية مثل نسيج الحرير والجلد القرطبي والأواني النحاسية؛ وبعضها أنتج في شبه الجزيرة مثل الأخشاب والتين، في حين أن بعضها الآخر قد انتقل من مكان إلى آخر من خلال متاجر الأندلس مثل الفراء والذهب والرقيق.

بقيت طبيعة الصادرات الأندلسية وتنوعها مستقرة خلال عصر الولاة المسلمين. واستمر تصدير السلع خلال الدور الأموي وكذلك في عصر دول الطوائف والحكام البربر، مما يدل على أن السياسة الداخلية أثرت قليلاً على الإنتاج الأندلسي. وكانت بعض الصادرات ذات شهرة، من قبل العهد الأموي، ومن جهة أخرى تنوعت الأنماط خلال الزمن. ومقابل هذه القرون ذات الاستمرار النسبي في الإنتاج، فإن دور الفتوحات الأندلسية من سنة 1212 إلى 1248 كان نقطة تحول مأساوية بالنسبة لتجارة إيبريا.

سيبحث هذا الفصل الصادرات الأندلسية الرئيسة قبل هذا الحد الفاصل السياسي والاقتصادي وسننظر أولاً إلى الصادرات الأندلسية البلدية ثم إلى السلع التي تمر من خلال أسواق الأندلس والعابرة أماكن أبعد.

بضائع الإنتاج الأندلسي والتصدير

التوابل

على الرغم من الدلائل على الكمون والكراوية الأندلسيين، فإن شبه الجزيرة لم تصدر توابل مطبخية أكثر قيمة أو حجماً من المستوردات الشرقية مثل الفلفل أو القرفة، ويصح الشيء نفسه بالنسبة للمعطرات باستثناء العنبر والعصارة الشمعية الرمادية من السائل المنوي للحوت الذي استخدم في الطبخ والعطر. وكان معظم الجغرافيين الذين وصفوا الأندلس في العصر الوسيط قد أعجبوا بالعنبر الذي وجد على طول ساحل شبه الجزيرة الغربي الأطلنطي، معلنين أن مواصفات هذه المادة كانت «لا مثيل لها في أي مكان في العالم المسكون». وكانت سانتاريم Santarem مصدراً «لأفضل أنواع العنبر وبكثرة» وكان ساحل لشبونة غنياً «بالعنبر الرائع نفسه، كنظيره الهندي»[1]. علماً بأنه، ليس مقبولاً مثل هذا الرأي والمقارنة دائماً. فقد كان العنبر الأندلسي سائداً في أسواق البحر الأبيض المتوسط، ويتطلب سعراً مرتفعاً ومتنامياً كلما نقلت المادة نحو الشرق. وفي القرن العاشر لاحظ المسعودي أن أونصة أو أوقية من العنبر العربي تعود على صاحبها بثمن ثلث دينار في قرطبة، ولكن أونصة من الشيء نفسه «في بغداد وكذلك في مصر

(1) L. Molina, ed. and trans., Una Descripcion anónima de al-Andalus. Madrid, 1983, I, p. 13; Ḥudud al-alam: "The Regions of the World", A Persian Geography. ed. V. Minorsky, London 1970, p. 156; Yaqut, Mu'jam al-buldan. Jacut's Geographisches Worterbuch. ed. F. Wüstenfeld, Leipzig, 1873, I, pp. 274, 343. Istakhri, Kitab al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J.de Goeje, BGA, 2nd, I, Leiden, 1967, p. 42, and Rãzi, "La 'Description de l'Espagne' d'Ahmad al-Razi" ed. E. Lèvi-Provençal, Al-Andalus 18,1953,p. 91.

[تصل] إلى عشرة دنانير [ومع ذلك] فإن هذا العنبر من صنف أقل»[2].

وأعلن البكري دفاعه عن العنبر الغربي قائلاً بأن عنبر سيدونيا Sidonia كان الأفضل في العالم، وأن ما تكون قيمته درهماً واحداً يعادل مرات من كمية الأنواع المستوردة[3].

ولم يظهر العنبر في مجموعة وثائق الجينيزا إلا أن رسالة ذكرت تحويل جزء من هذا العطر من فاس ومصر حوالي سنة 1110[4].

وقد ساد موقف تنافسي مماثل بين منتجات الشرق والغرب في صناعة الأصبغة في البحر الأبيض المتوسط، حيث كان يمكن للصبّاغين اختيار النيلة والبقم (شجر الصباغ) المشرقي أو القرمز والزعفران الغربي. وكان القرمزي من الأصباغ الأولية المنتجة والمصدرة من إسبانيا المسلمة، وقد ادعى العذري أن «اللون القرمزي لإشبيلية أفضل من الأنواع الهندية»[5].ويأتي اللون القرمزي من خنفساء coccum ilicis مصدرها شبه الجزيرة الإيبرية، وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا وبلاد الإغريق حيث تجفف وتسحق ومن ثم تخلط بالماء لاستخلاص لونها. وكان هذا الصباغ يدعى granum باللاتينية لأن المادة المجففة تأتي على شكل حبيبات. وتكون قيمة القرمزي في قابليته لإنتاج أنواع من الألوان طبقاً للمثبت المستعمل معه، ويتدرج لونه بين القرمزي اللامع إلى البنفسجي أو الأصفر. هذه الجوانب المتعددة جعلت منه صباغاً شعبياً إلا أن شهرته كانت تستند إلى اللون القرمزي «الذي لا يضاهيه

---

(2) Mas'udi, Muruj al-dhahab, Les praires d'or. ed. C. Barbier de Meynard, Paris, 1861, p. 366.

(3) Bakri, Masalik wa al-mamalik. ed. A.A. al-Hajji, Beirut, 1968, pp. 125,127; also Molina, Descripcion anonima, I, p. 13.

(4) Bodl d66.52.

(5) 'Udhri, "Nuṣûṣ 'an al-Andalus," Tardi 'al-akhbar wa tanwi' al-athãr. ed. A.A. al-Ahwãni, Madrid, 1960, p. 96.

صدّرت شبه جزيرة إيبريا القرمزي قبل العهد العربي وعلق بليني على إنتاجه قرب مريدا Merida =

[أي] أحمر»[6]. ويثبت اللون بصورة أفضل عندما يستعمل لصبغ نسيج من منشأ حيواني، مثل الحرير والصوف لأن ابن البيطار كان قد لاحظ أن الكتان والقطن وغيرها من الخيوط النباتية لا تثبت اللون جيداً[7].

وطبقاً لما ذكره البكري فإن «أفضل القرمزي هو القرمزي الأندلسي ويأتي معظمه من مناطق إشبيلية ونيبلا Niebla وسيدونيا وبلنسيا، من جميع أنحاء الأندلس، وقد صُدِّرَ إلى البلاد البعيدة»[8]. وقد وثقت تجارته في غرب المتوسط من خلال رسائل جينيزا كما في رسالة من القرن الحادي عشر حيث تطلب شحنة من القرمز من الأندلس إلى تونس، ومنها ربما نقلت إلى مصر. وقد وصل القرمزي الأندلسي إلى شرق المتوسط بالتأكيد، كما ورد في رسائل اخرى كُتبت إلى مصر من قبل امرأة في القدس في سنة 1050، تطلب فيها خمسة أرطال من شذونا Shadhuna قرمزي (من سيدونيا) [9]. وقد أتجر بالقرمزي الأندلسي في أوروبا، حتى قبل العصر الكارولنجي عندما ذكر نوتكر Notker «الصباغ الأرجواني من إسبانيا»[10]. وكان القرمزي متيسراً في بلنسيا ومورسيا Murcia بصورة رئيسة من بلاد إسبانيا المسيحية في القرن الثاني عشر، عندما ظهر في لوائح التعرفة في منطقة إبرو Ebro[11]. ويبين

= Natural History. ed. H. Rackham, Cambridge, Mass., 1983. Book IX IXV, p. 258.

(6) Maqqari, Andecles sur L'histoire et la littèrature des arabes d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, I, p. 123.

(7) M. Lombard, Les textiles dans le monde musulman du VIIe au XIIe siecle. Paris, 1978, p. 119; Ibn al-Baytar, "Traitè des simples" trans. L. LeClerc, Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale 26,1883, p. 74.

(8) Bakri, Masalik, p. 127.

(9) ULC Or1080 J 77; TS 13 J 6.22.

(10) Notker the Stammerer, De Carlo Magno. ed. p. Jaffe, Monumenta carolina, IV Bibliotheca rerum germanicarum, Berlin, 1867, p. 677. Notker's reference to *ferrugine Hibera* may have been loosely borrowed from Virgil, in which case it bears no relation to ninth-century trade, see L. Thorpe, Two Lives of Charlemagne. London, 1969, p. 196, n. 89.

(11) M. Gual Camarena, "Peaje fluvial del Ebro, siglo XII," Estudios de edad media de la Corona de Aragón 8,1967, p. 184.

دليل على «زفري دي غرانا» Zafri de grana في قائمة تعريف من سنة 1207 من طليطلة أن الأصباغ استخدمت في قشتاليا من أجل الأصفر وكذلك الأحمر الملّون[12]. وقد دونت عقود جنوى القرمزي الأندلسي. وذكر كاتب عدل شحنة من grane de Ispania، «حبة إسبانيا» مرسلة للبيع في لوكا Lucca في سنة 1192 وجزءاً آخر من القرمز غير المُعرّف في السنة نفسها[13].

وكان الزعفران من الصادرات الشهيرة للأندلس، على الرغم من أن بعض المؤلفين قد اعتبروه أدنى من الأصناف الشرقية. وخلافاً للقرمز فقد كان الزعفران لا ينتج في شبه الجزيرة الإيبرية على نطاق واسع، قبل العصر العربي، ولكن الجغرافيين والمهندسين الزراعيين الأندلسيين يشيرون إلى زراعته وتصديره الواسعين في القرن العاشر. والرازي هو أحد من ادعى أن بلنسيا «أنتجت ما يكفي لتموين الأندلس كله، ونقله التجار إلى مناطق أخرى من العالم»[14]. وفي القرن التالي، كان الزعفران الطليطلي «موجوداً في جميع البلاد وصُدِّر إلى الخارج» كما كان الحال في إشبيلية وجواد الجارا Guada lajara وادي الجرة.

بينما ذكر الشقندي وياقوت وغيرهما من المؤلفين المتأخرين أن زعفران بايزا Baeza كان قد «صدر من خلال البر والبحر» كما أن الأنواع الفضلى،

---

(12) F.J. Hernández, "Las Cortes de Toledo de 1207," Las Cortes de Castilla y Leon en la edad media. Valladolid, 1988, pp. 240,254.

(13) Guglielmo Cassinese, 1190-1192. eds, M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1938, 11, p. 235, #1700. D. Abulafia يقترح أن الإشارة الثانية إلى *carrico* *grani*, II, p. 223, #1668.

تشير أيضاً إلى: to Spanish crimson, D. Abulafia, The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes. Cambridge, 1977, p. 200.

(14) Razī, "Description," p. 72. Also, Le Calendrier de Cordoue. ed. R. Dozy, new edn. C. Pellat, Leiden, 1961, pp. 172-3.

كانت معروفة ومرغوب فيها في بلاد المغرب[15]. ووجد الزعفران الأندلسي طريقه إلى أسواق أوروبا بفضل الجنويين غالباً، فقد كتب «جيوفاني الكاتب Giovani Scriba» عقداً من أجل نقل الزعفران والمرجان. (والمرجح أن الاثنين من أصل أندلسي) من جنوى إلى الإسكندرية في سنة 1156[16].

النسيج

وعلى الرغم من أن التوابل كانت العماد الأمثل لتجارة المتوسط عامة، فإن الأقمشة والخيوط كانت أكثر أهمية بالنسبة للاقتصاد الأندلسي. فقد ساد الحرير على الرغم من أن الكتان والصوف والقطن أخذ قسطاً صغيراً من التجارة. وكانت دودة القز، والعناية بها، قد وصلت إلى شبه الجزيرة في القرن الثامن غالباً، ووصلت إلى عالم البحر الأبيض المتوسط من الصين عن طريق الفرس والبيزنطيين. ويمكن تحديد مناطق تربية دود الحرير في البحر الأبيض المتوسط شمال خط العرض 04ْ وأدنى من ذلك بصورة تقريبية أي جنوب نابولي ومدريد وإستانبول وخاصة في المناطق الجبلية، بما فيها سيبيرا ونيفادا في الأندلس حيث تنمو شجرة التوت[17].

وكان من الضروري توفر ثلاثة عوامل من أجل نجاح صناعة الحرير. أولاً، أشجار التوت من أجل غذاء اليرقات؛ ثانياً، المهارة التقنية الإنسانية من أجل معامل الحرير؛ وثالثاً، توافر عدد كاف من العمال للحفاظ على مستويات مقبولة من الإنتاج. وقد حَدّت هذه المتطلبات من صناعة الحرير

---

(15) Bakri, Masalik, p. 88; 'Udhri, "Nusus," p. 96; Idrisi, Opus geographicum. V, Naples-Rome, 1975, p. 553; Shaqundï, in Maqqarï, Analectes, 11, p. 146; Yaqut, Mu'jam, I, p. 773.

(16) Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano, M. Moresco, Rome, 1935, I, p. 56, 105.

من أجل نقاش حول مقتضب تجارة الزعفران في العصر الوسيط المتاخر في أوروبا انظر:

L. Bardenhewer, Der Safranhandel im Mitelalter. Bonn, 1914.

(17) Lombard, Textiles, p. 79; ربما نمت بعض أشجار التوت ويرقات الحرير شمالاً ولكنها لم تؤد إلى أكثر من ذلك.

جغرافياً وجعلتها عرضة للتأثر بالمناخ والتبدلات السكانية ولكنها ازدهرت في الأندلس خلال معظم الأدوار الإسلامية. وقد سبق وأنتج الحرير في شبه الجزيرة خلال القرنين الثامن والتاسع، إلا أن صناعته بلغت قمتها في عهد حكام دول الطوائف والمرابطين والموحدين[18]. وتابع الإدريسي أكثر من ثلاثة آلاف مزرعة لتربية دودة القز في الجبال حول جان Jaen في وسط القرن الحادي عشر، وقد ميّز الشقندي هذه الرقعة من المنطقة مسمياً إياها «جان الحرير» لأن كثيراً من الناس في الريف والمدينة قد استغرقوا في تجارة الحرير[19]. ونعلم معلومات أكثر حول صناعة الحرير في الماريا، حيث روى الإدريسي وجود ثمانمئة مشغل مكرس لإنتاج الحرير والمنسوجات المقصبة المزينة بالأقلام وأشكال أخرى[20]. وأطرى الزهري بسخاء على صناعة المنسوجات في هذه المدينة مُسجلاً: «لا شيء يخفى على هؤلاء الصناع المهرة.. في الماريا، فقد صنعوا كل نمط من المفروشات الأنيقة وصنعوا كل شيء على أكمل وجه. وجميع الناس هنا، رجالاً ونساء، يعملون بأيديهم؛ وأفضل مهنة مطروقة للنساء هي مهنة الغزل التي تؤدي إلى رفع أسعار الحرير، وأفضل مهنة يمارسها الرجال بكثرة هي الحياكة». وقد ردد المؤلفون المتأخرون هذا التقرير[21]. وإن العدد المرتفع المذكور من قبل الإدريسي يوحي بأنّ إنتاج الحرير كان بيتاً صناعياً على مستوى جني الحرير أو تصنيع

---

(18) E. Morral i Romeu and A. Segura i Mas, Seda en España: Leyenda, poder, y realidad. Barcelona, 1991, p. 62.

وانظر من أجل صناعة النسيج الأندلسية في:

Vallvè, "La industria en al-Andalus," Al-Qantara 1,1980, pp. 225-36.

(19) Idrisi, Opus, V, p. 568; Shaqundi, in Maqqari, Analectes, II, p. 146.

(20) Idrisi, Opus, V, p, 562.

(21) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya" ed. M. Hadj-Sadok, Bulletin des etudes orientales 21,1968, pp. 205-6. See also Yaqut, Mu'jam, IV, p. 517; and later citations in Ḥimyari, La Peninsule iberique au moyen age d'apres le "Kitāb ar-rawḍ al-mitar fi habar al-akhtar. ed. and trans. E. Lèvi-Provençal, Leiden, 1938, p. 184, and Maqqari, Analectes, I, p. 102.

النسيج[22]. واشتغل كثير من الناس فيه، حتى الأطفال كانوا مرغوبين بسبب صغر أناملهم لالتقاط أو فك الخيط الدقيق من شرنقة الحرير. وبما أن شجر التوت ينمو أفضل في المرتفعات العالية حيث يسد الثلج الممرات الجبلية خلال الشتاء، فإن تجارة الحرير كانت فصلية. وكان بعض إنتاج الحرير يأتي إلى موانئ المدن بين حزيران وأيلول، متصادفاً مع شحنات الصيف المجدولة[23]. وبهدف تنظيم التبادلات وتسهيلها كان التجار يتعاقدون سلفاً على الحرير كما يبدو ذلك في عينة عقد مقدم من القاضي الفهري من أجل سلفة على حرير مغزول[24].

وقد أشار المؤلفون العرب إلى عدد من أنواع الحرير الخام أو خيوط الحرير، بتدرجات تتعلق بالمواصفات الأصلية للحرير ومدى العناية التي عوملت بها الألياف الدقيقة. وكان من بين أشهر أصناف الحرير الخام التجارية المألوفة «ابريسم» ibresim (حرير خام صنف عالٍ)، حرير harir (خيوط الحرير الخام)، خزّ khazz (حرير خام أو مشقة حرير صنف أدنى)، لسين lasin (حرير فاسد)، التقاط iltiqāṭ (خيوط محاكة من حرير سيء، حرفياً التقاط أو نفاية). وكانت سمة النسيج المحاك تُميز بالأسماء مثل ديباج dibaj وسقلطون siqlatun و وشي washi وعتابي attabi[25].

إن محفوظات الجينيزا غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي في مركز المتوسط وشرقه خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

---

(22) من أجل الحصول على ألياف الحرير، تغمر الشرانق في ماء مغلي وذلك لفك الخيوط الصغيرة ومن ثم يحل كل خيط بلطف لإنتاج الحرير من الصنف العالي وإذا كانت الشرنقة معطوبة أو أن الألياف متشابكة، فيجب غزل الخيوط المخربة مع بعضها، مما ينتج عنه خيوط من مواصفات متدنية.

(23) R. Arié, La Espana musulmana. Barcelona, 1982, p. 250.

(24) Fihri, Wathaiq wa al-masail al-majmua min kutub al-fuqaha. Miguel Asin Institute, CSIC, Madrid, ms. II. fol. 18v.

(25) من أجل المزيد عن أنواع الحرير، ن S.D. Goitein, A Mediterranean Society. Berkeley, 1967-88, IV, pp. 167-69.

وكان أحد التوجيهات التجارية قد أرسل من مصر إلى تونس في وسط القرن الحادي عشر يأمر أن يشتري المستقبل «حرير لسين lasin من إسماعيل الأندلسي أو لقاطاً أندلسياً رفيعاً». وقدّم عامل نهريا بن نسيم طلباً مماثلاً في سنة 1040 حين قال له شريك في أفريقيا أن يعتمد «جزءاً يشمل... [من بين الأشياء الأخرى] اثني عشر رطلاً، مطروحاً الثلث، من لقاط الحرير الأندلسي»[26]. وكانت الرسائل المتأخرة من 1060 ـ 1070، تذكر مراكب أندلسية، وتجاراً واصلين إلى الإسكندرية مع حرير قادم مباشرة من الأندلس من دون وساطة تاجر تونسي[27]. وقد استمرت هذه المسألة في القرن الثاني عشر عندما أؤتمن وكيل مصري على ذهب لأمر عاجل هو شراء حرير أندلسي (سنة 1110). وهناك رسالة أخرى، كتبت في سنة 1138، تتعلق بتجار مشرقيين وصلوا إلى الماريا محملين بـ «اللّك» والبخور وشجر الصباغ للمتاجرة بالحرير الأندلسي[28]. ونجد في النهاية تجاراً محليين مغتاظين من الأسعار وتوفر الحرير الأندلسي. وقد كتب تاجر جنيزي من الأندلس سنة 1119 شاكياً ما يأتي:

«بالنسبة للحرير، عندما وصل المركب الأندلسي، صارت جميع الأعمال في ركود؛ لا أحد يبيع ولا أحد يشتري وبعد ذلك ساموا كميات صغيرة بأسعار 21 ـ 22 (ديناراً) لكل عشرة (أرطال). وفيما بعد، وعندما لم يصل أي مركب، كان هناك طلب على الحرير، ولكن أصحابه أمسكوا به عن البيع... ولم يصل أي مركب من الغرب، ولا أخبار عن مراكب في الطريق؛ أضف إلى ذلك، أن الريح غير مؤاتية، فهي لا شرقية ولا غربية. وفي هذا اليوم دفع الناس 23 ديناراً لـ [عشرة أرطال من] الحرير الخشن، ولكن ما من أحد أراد البيع. الجميع ممتنعون عن البيع حتى ينجلي الموقف»[29].

---

(26) TS 12.389; Bodl b3.19.

(27) ENA NS 2.13; TS 10 J 16.17.

(28) Bodl d66.52; TS 12.285.

(29) TS 13 J 22.30؛ مترجمة بتعديل بسيط من Goitein, Mediterranean Society.I, P. 303.

ربما قورنت هذه الرسالة مع عدد من الوثائق المشابهة التي تخبرنا عن تقلبات سوق الحرير، والأسعار قليلة نسبياً. وبالمقارنة، هناك رسالة مصرية أخرى، ربما تعود لسنة 1060، تنص على أن عشرة أرطال من حرير «الخزّ khazz الأندلسي قد بيع بـ 6 - 25 ديناراً، في حين أن قائمة أسعار من سنة 1140 من الإسكندرية تسعر الخزّ بـ 9 - 36 ديناراً من أجل عشرة أرطال غالباً[30]. وقد عثر على الحرير الخام الأندلسي في أسواق البلاد المسيحية، كما تبين الفيرو Fuero لمدينة كيونكا Cuenca مثلاً، التي تذكر رسوماً تدفع على libra serici (المستوردة غالباً من الأندلس) [31]. وقد بينت وثائق من أوائل القرن الثالث عشر من مونبلييه Montpellier ضرائب أخرى على كل libra seda Yspenia يدخل إلى المدينة في حين أن عقداً جنوياً معاصراً (مؤرخاً في 1225) يشير إلى مئة وثمانين رطلاً ونصف رطل من الحرير الإسباني (sete de Yspania)[32].

وقد انتشرت الأقمشة ومواد الألبسة الأندلسية بعيداً في العالم الإسلامي منذ أوائل القرن التاسع، عندما نقل التجار الراذانيون Radhanite اليهود القماش المقصب الغربي إلى مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط[33]. وبعد قرن من الزمان مدح ابن حوقل «الأثواب الثمينة من الكتان والقطن والحرير» التي كانت متيسرة في قرطبة الأموية وذكر أن الحرائر الأندلسية قد أرسلت إلى مصر حتى إلى خراسان[34]. ونوه المقدسي، معاصره، أن كثيراً من معامل الحياكة المتخصصة والمدهشة هي في الأندلس، في حين أن الرازي (الذي كتب في الزمن نفسه تقريباً) ادعى أن زراكوزا قد أنتجت أقمشة

(30) ENA NS 2.13; TS 10 J 10.23.

(31) Hernandez, "Cortes de Toledo," p. 250.

(32) A. Germain, ed., Liber instrumentorum. Cartulaire des Guillems de Montpellier. Montpellier, 1884-6, p. 438; ASG, Cart. 16/11, fol. 23v.

(33) Ibn Khurradadhbih, Kitāb al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J.de Goeje, BGA, 2nd edn, VI, Leiden, 1967, p. 153.

(34) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard. ed.J.H. Kramers, Leiden, 1938, pp. 110,113,114.

ثمينة بحيث نالت شهرتها العالم[35]. وفي منتصف القرن التالي، أُرسل طلب تجاري من تونس إلى الأندلس في سنة 1050 (من بين الأشياء الأخرى) المطلوبة خمسون عباءة ورداء وعشرة أزواج من الجوارب و «غطاءان من قماش صوف البحر... مقابل حرير أخضر وأحمر»[36]. وهناك قائمة مماثلة كتبت بعد نحو عشر سنين، تذكر شراء خمس وثمانين «عباءة أندلسية»[37]. وبعد ذلك، وفي القرن نفسه سجل أن نحاساً في مصر كان يملك «ثوباً إسبانياً جديداً وثوباً إسبانياً [غير فضفاض] وخاماً وعشرة أثواب خام إسبانية وهي إما لاستعماله الشخصي أو للبيع[38]. وذكرت رسالة أخرى من مصر، ومن الزمن نفسه تقريباً شراء أثواب من مالوركا[39]. وقدم الإدريسي لائحة طويلة من الحرائر النفيسة والمقصبة المصدرة إلى الماريا في القرن

---

(35) Muqaddasi, Description de l'occident musulman. ed.C. Pellat, Paris, 1950, p. 48; Razi, "Description," p. 78.

حول المزيد عن الحرير المنسوج الأندلسي ن:

F. May, Silk Textiles of Spain. New York, 1957, pp. 1-55, and the text and bibliography in C. Partearroyo, "Almoravid and Almohad Textiles," Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. ed. J.D.Dodds, New York, 1992, pp. 105-13.

(36) ULC Or1080 J.77; also Goitein, Mediterranean Society, IV, pp. 18-2.

ظهر صوف البحر أحياناً في سجلات التجار ورسائلهم وكان من النوع الرفيع واللين الخيوط وينتج بواسطة رخويات بحرية. على الرغم من أن جغرافيّي العصور الوسطى قد كانوا محتارين في معرفة مصدره تماماً. وكان هناك خطأ يتعلق بالسمور وعجل البحر وفرائهما وكان بعضهم يصف الفراء على أنه يأتي من حيوان بحري مجهول فقد كتب الإصطخري مثلاً حول مخلوق بحري يظهر مرة في السنة من البحر قرب سانتارم Santarem وكان يفرك جسمه بالصخور تاركاً خلفه ذهباً خالصاً وحريراً يمكن حياكته بالثياب. ويضيف أن هذه الثياب كانت تصدر بكميات قليلة إذ إن إنتاجها كان تحت سيطرة الحاكم، وكان سعرها ينوف على ألف دينار. كما ذكر الإصطخري في الممالك والمسالك ص42. وقد ذكر الإنتاج الأندلسي من خلال ولي العهد المنصور الذي أرسل إحدى وعشرين قطعة من صوف الحرير كهدايا سياسية في أواخر القرن العاشر (Maqqari, Analecte,1,p. 271).

(37) TS 24.40.

(38) ENA 1822.46; trans. Goitein, Mediterranean Society, IV, p. 339. استخدم جوتين التعبير إسبانيا ليقول أندلس.

(39) TS 13 J 19.1.

الثاني عشر، وروى الشقندي (كتب نحو 1199 ـ 1212) أن الحرير الموشى البلنسي صُدّر إلى جميع المناطق في المغرب[40]. ولعل الحرير الأندلسي قد توغل في أسواق الشرق البعيد في القرن الثاني عشر، فقد ادعى الزهري أن الهند استوردت «أثواباً كاملة من الحرير الموشى» من بلاد الأندلس[41]. ولتأكيد هذا الادعاء ذكرت رسالتان من جينيزا من الفترة الزمنية نفسها أنسجة صنعت على هيئة المنارة Manara (قرب إشبيلية). اتجر بها بين عدن والهند[42].

وقد شقت المصنوعات الأندلسية النسيجية طريقها إلى عالم المسيحيين من خلال التجارة ووسائط أخرى. وهناك أدلة على النسيج «الإسباني» (وهو أندلسي الصناعة غالباً، ذلك أن إسبانيا المسيحية لم تنتج المنسوجات الثمينة في هذه الفترة) الذي ظهر في أوروبا من خلال مصادر لاتينية خلال اوائل القرن التاسع عندما قدم لويس بيو Louis the Pious منسوجات ثمينة بما فيها غطاء سرير إسباني Stragulum hispaniuem إلى الكاهن «أبيبه سنت فندريل Abbey, St. Wandrille» نحو 823. وكان ابنه شارل بالد Charles Bald قد تلقى أنسجة متنوعة diversi generis pannis هدية من قرطبة في 865[43]. وبالمثل فقد ذُكرت أربعون قطعة من الألبسة الإسبانية المحاكة من خيوط الفضة Vela cum argento spanisca من بين الهبات الدينية للبابا جورج الرابع (827 ـ 844)، في حين أن عدداً من Vela de spanisco قد قُدِّمَ لكنائس مختلفة خلال عهد ليو الرابع (847 ـ 855)[44].

إن الأدلة على وجود المنسوجات الأندلسية في البلاد المسيحية نادرة

---

(40) Maqqari, Analectes, II, p. 149.

(41) Zuhri, "Kitab al-dja'rafiyya," p. 276.

(42) ULC Or1080 J 95; TS 24.66. ربما كان هذا الـ Fawat manari قماشاً مقلداً للأندلسي.

(43) Gesta sanctorum patrum Fontanellis coenobii XIII.4. eds. F. Lohier and J. Laporte, Rouen-Paris, 1936, p. 102. Annales Bertiniani. ed. G. Waitz, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover, 1883, p. 80.

(44) Liber pontificalis. II. ed. L. Duchesne, Paris, 1955, pp. 75,107,122,128.

في نصوص القرنين العاشر والحادي عشر. ولعل سبب ذلك أن الورشات الأندلسية في هذه الفترة كانت مكرسة لإنتاج الطراز tiraz الملكي ومنسوجات مهيأة للتصدير إلى دار الإسلام. ومع ذلك فإن قليلاً من المنسوجات الأندلسية قد ظهر في عقود من أمالفي Amalfi ونابولي مؤرخة في أول القرن الحادي عشر، كما عثر عليها في السجلات الإسبانية المسيحية من هذه الفترة، بما في ذلك أدلة على genabes mauriscos في وثائق من ليون Leon[45]. وفي نهاية هذا القرن، فإن سكان شمال شبه الجزيرة قد حازوا على الأنسجة الإسلامية من الأندلس ومن المعامل الشرقية، إذ إنّ أسواق الأندلس قدمت قنوات مناسبة للوصول إلى السلع من جميع أنحاء العالم الإسلامي. ومن ثم «فإن الورشات العظيمة الحقيقية لإنتاج الحرير مع الذهب» muy ricos pannos de seda labrados en oro الذي زُيّن وذُهّب الـ: (سِد Cid) في آخر القرن الحادي عشر قد كان إنتاجاً أندلسياً، إلا أن buenos cendales d'Andria (Alexandria) الذي لبسه في احتفال التنصيب كان مستورداً من الشرق غالباً ووصل إلى قشتالة من خلال القنوات التجارية الأندلسية[46].

وبعكس هذه القلة أو الندرة في الدلائل المؤرخة في ما قبل القرن الحادي عشر، فإن المصادر المسيحية توثق تفجراً في الحاجة إلى

---

(45) وهناك ثوبان إسبانيان ظهرا في لائحة مواد تعود إلى دير (غالباً في أمالفي) في سنة 1019.

L.A. Muratori, Antiquitates italicae medii aevi sive dissertationes. Rome, 1741, p. 770.

وبعد سنتين ذكرا أيضاً في عقد من نابولي ed. B. Capasso, Monumenta ad neapolitani ducatus historiam pertinentia. Naples, 1881-92, II.1, p. 252, #402. من أجل أمثلة ليونية.

C. Sanchez-Albornoz, Estampas de la vida en Leon durante el siglo X. Madrid, 1934, p. 19; also "El precio de la vida en el reino de Astur-Leones hace mil años," Logos 3,1944,p. 232.

(46) Alfonso X, Primera crónica general de España. ed. R. Menéndez Pidal, Madrid, 1906, reprint, 1977, p. 616; Canter de mio Cid. ed R. Menendez Pidal, trans. W.S. Merwin, New York, 1975, pp. 180-1.

المنسوجات الأندلسية بعد 1100 تقريباً. ويعكس هذا الغنى في المعلومات تعاظم ثروة المعامل الأندلسية في عهد المرابطين والموحدين، وكذلك التوسع التجاري الأوروبي المعاصر والاستهلاك الجديد للسلع الفاخرة. وقد غصت الروايات الأدبية الفرنسية في هذه الفترة بالإشارات إلى الأنسجة الأندلسية الثمينة مثل: pailes d'Aumarie, cendals d'Aumarie, mantel d'Aumarie, soie d'Aumarie مع أنواع أخرى مثل drap du Mulce Siglatons d'Espagne[47]. وقد دُعمت هذه الإشارات الأدبية من خلال مصادر أخرى، مبينة أن المستهلكين أي الأفراد المسيحيين كانوا معتادين تماماً على المنسوجات الأندلسية. وفي سنة 1190 مثلاً، ذكر الرحالة الانجليزي روجيه هوفدن Roger of Hoveden، الـ pannos de serice من الماريا، وكان قد أرسل إلى كروان أراجون من باليريك، ذكر أنه مَرَّ في الماريا وهي مدينة «النبلاء والحرير الثمين المسمى sericum de Almaria»[48]. وهناك براهين حسية على وجود منسوجات الماريا في أوروبا

---

(47) من أجل الروايات الفرنسية التي تذكر منسوجات الأندلس أنظر:

Richard the Pilgrim, Chanson d'Antioche, composee au XIIe siecle par Richard le pelerin. ed. L. Sainte-Aulaire, Paris, 1862, "etoffes d'Almerie" p. 16; Aye d'Avignon. Chanson de Geste. late twelfth century eds. F. Guessard and P. Meyer, Paris, 1861, "paile vermeill d'amoravine" p. 7, "porpre d'Aumarie" p.29; Bertrand de Bar-sur-Aube fi. ca. 1220, Girart de Vienne. ed. W. van Emden, Paris, 1977. "tirez et pailes et soie d'Aumarie" p.113, "soie d'Aumarie" p. 200, "paile d'Aumarie" p. 207, "soie d'Amarie" p. 273; Lambert Li Tort, Romans d'Alixandre. ed. H. Michelant, Stuttgart, 1846. "siglatons d'Espagne... pales d'Aumarie" p. 4, "soie d'Aumarie" p.119, "pale de soie d'Aumarie" p. 532; Raoul. Chanson de Geste. eds. P. Meyer and A. Longnon, Paris, 1882. "mantel d'Aumarie" and "soie d'Aumarie" p. 277.

جمعت مراجع مشابهة من عدد من المخطوطات غير المنشورة من قبل:

F.X. Michel, Recherches sur le commerce, la fabrication et l'usage des étoffes de soie, d'or et d'argent, et autres tissus précieux en occident, principalement en France, pendant le moyen âge. Paris, 1852-4, I, pp. 232-3, 258, 285-6, 294-5.

(48) Roger of Hoveden, Chronica. ed.W. Stubbs, London, 1868-71, III, pp. 48,51.

يذكر ستبس Stubbs أن روجيه قد أخذ المرجع عن pannos de serico من عمل بندكت بيتر بوروج وأضاف الماريا.

في القرن الحادي عشر منذ أن ترافق رداء الكاهن في أثناء القداس مع توماس بيكيت Thomas Becket المحفوظ حالياً في كاندرال فرمو Fermo حاملاً كتابة عربية تدل على أنه قد حيك في الماريا في 510 AH/1116 AD[49]. وقد بينت العقود العدلية الجنوية أن نسيج الأندلس كان متيسراً في أسواق إيطاليا. وكتب جيوفاني سكريبا عقداً من أجل شحنة من عشر قطع bolts ثياب «إسبانية» tela Yspania. في 1161. وهناك عقد تالٍ، كتب من قبل أوبرتو سكريبا في 1186، ذكر فيه ستة أثواب من قماش غرناطي Panni de Granada، أربعة خضر واثنان بُنيّان[50]. وهناك عقود أخرى من 1200 و1224 و1238 ذكرت cendates أو cendal وهي نوع رفيع من ثياب الحرير[51].

وبينما كانت مناطق أوروبية تكتشف بهجة المصنوعات الأندلسية، تابع المسيحيون الإسبان استيراد المنسوجات الثمينة والعادية من الجنوب المسلم خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد جمعت المكوس على طول نهر Ebro على عدد من المواد القادمة من الجنوب على ما يبدو، بما في ذلك alquiceles (برنس أو عباءة) أو قبعة للرأس[52]. وقد فرض الـ fuero لمدينة Mos سنة 1162 مكساً على «أثواب قادمة من بلاد العرب»[53]. وهناك المزيد من الأمثلة الأهلية، فقد ذكرت وصايا الموزاراب من القرن الثاني عشر في

---

(49) F. Gabrieli and U. Scerrato, eds. Gli arabi in Italia, Cultura contatti e tradizioni, Milan, 1979, facing p. 481.

Scerrato لم يتعاون مع Becket ولم يذكر كيف وصل النسيج إلى Fermo ولعل هذا الرداء وصل إلى Becket بين الهدايا الملكية pannos serico المذكورة في رسالة من سنة 1170 إلى المطران (رئيس الأساقفة) من الكاردينال ثيوبودوين Cardinal Theodwin.

Recueil des historiens des Gaules et de France. xvi Paris, 1878, p. 445E.

(50) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 4, #812; Oberto Scriba de Mercato 1186. ed. M. Chaiudano, Genoa, 1940, p. 98, #263.

(51) ASG Cart.4, fol. 171r; Cart. 16/11, fol. 14v; Cart. 11,fols. 185r-186v.

(52) Gual Camarena, "Peaje," p. 167.

(53) Portugaliae monumenta historica: leges et consuetudines. Lisbon, 1856, I, p. 391.

طليطلة مواد ثياب أندلسية، ويظهر سعاة بلنسيون في قائمة الموجودات المنزلية من سراكوزا في وسط القرن الثاني عشر[54]. وفي سنة 1207 وضع كورت (بلاط) طليطلة تعرفة على الـ cendal المستورد من مورسيا Murcia[55] وبالإضافة إلى هذه المراجع الموثقة، توجد أمثلة على منسوجات باقية، عثر عليها في المقابر الملكية في دير سانتا ماريا لاريل دو لاس هلجاس في برجوس Santa Maria la Real de las Huelgas in Burgos وفي أماكن أخرى من إسبانيا المسيحية تشهد على انتشار المنسوجات المرابطية والموحدية والناصرية في شمالي شبه الجزيرة[56].

وقد شكلت مجموعة بُسط من الحرير والصوف أهمية أخرى للنسيج الأندلسي المُصَدَّر. وكما هي الحال بالنسبة للسيراميك ـ الفخار فإن هذه المواد كانت تنتج في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، وهي، لجمالها، وشعبيتها وتنوعها من خلال نمطها الاقليمي، أضيفت إلى التجارة الدولية. وقد أطرى ابن حوقل على البسط الصوفية المصنوعة في الأندلس في القرن العاشر، ويضم جدول إحصاء لسلع تعود لعبد الرحمن الثالث سجاداً حريرياً و «ثلاثين بساطاً bisat من الصوف الخالص؛ من مختلف الألوان والأشكال، وكان طول الواحد منها عشرين ذراعاً dhira'[57]. ولعل البُسط الأندلسية صدرت قبل التعليق الهجائي الذي ذكره المؤلف البغدادي الأزدي في القرن

(54) A. Gonzalez Palencia, Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII. Madrid, 1926-8,111,pp. 381, 391-2; J.M. Lacarra, Documentos para el estudio de la reconquista y repoblacion del Valle del Ebro. Zaragoza, 1946-52, p. 651, #280.

من المحتمل أن هذه المنسوجات كانت من Flemish وهو مركز بلنسي أكثر من بلنسيا.

(55) Hernandez, "Cortes de Toledo," p. 241.

(56) M. Gomez-Moreno, El Panteon real de las Huelgas de Burgos. Madrid, 1946; C. Herrero Carretero, Museo de telas medievales: Monasterio de Santa Maria la Real de Huelgas. Madrid, 1988; J. Dodds ed., Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. pp. 105-13,224-30,318-41.

(57) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 114; Maqqari, Analectes, I, p. 230.

التاسع ويسخر من نقص (البسط من الأندلس وقرطبة) وكان في أصفهان[58]. وفي القرن التالي، لاحظ «الورشات الممتازة لصنع البطانيات والبسط» الواقعة في تدمر Tudmir[59]. ويصل ذكر البسط الأندلسية إلى وثائق جينيزا لتؤكد الإطراء السخي للجغرافيين. ففي رسالة كتبت في سنة 1050 ذكرت سجاداً أندلسياً شحن من تونس إلى مصر، وطلباً تجارياً من الفترة نفسها (وتتضمن طلباً لأثواب وجوارب وعباءات من صوف البحر السابق ذكره) وهنا يطلب الآمر: «مدادتين رفيعتين، صناعة جديدة طول الواحدة أربعة وعشرون ذراعاً، وأربعة بسط بيضاء ممتازة، اثنين زرقاوين واثنين خضراوين واثنين حمر» يجب أن ترسل من الأندلس إلى... وهناك طلب مماثل أرسل من مصر سنة 1143، لإرسال «مَدَّة أندلسية... ومَدّة صغيرة، وبساط صلاة وقطعة مَدّ»[60]. وقد ذكر تصدير السجاد الأندلسي إلى مصر في القرن الحادي عشر من قبل المقريزي، الذي وصف البسط الأندلسية في البلاط الفاطمي في سنة 1124[61]. وقد نُقل السجاد الأندلسي إلى الشمال، إلى إسبانيا المسيحية كما تُبين وصية الموزاراب في آخر القرن الثاني عشر من طليطلة، حيث يرد ذكر السجاد الحريري والصوفي من بين أملاك المتوفى[62].

الأغذيـة

لقد اشتهر الأندلس بصادراته وإنتاجه للمواد الغذائية وبخاصة زيت

---

(58) Abu al-Mutahhar al-Azdi, Abulkasim ein bagdader Sittenbild. ed. A. Mez, Heidelberg, 1902, p. 36.

(59) 'Udhri, "Nusus," p. 9.

(60) See Goitein, حـول الـثـلاثـة ن، TS NS J 128; ULC Or1080 J 77; TS NS J 27. Mediterranean Society, IV, p. 126.

وقد صدرت الحصر والبسط وكذلك السجاد من الأندلس وطلبات تجارية أخرى أرسلت من فاس إلى الماريا في عام 1141 تطلب شحنة من الحصر من الأندلس .TS 13 J 21.12

(61) Maqrizi, Mawa'iz wa al-i'tibar bi-dhikr al-khitat wa al-athar. Bulaq, 1270/1853-AH/1124-25AD on p. 472. مقطع مؤرخ في 518 4, 1, p. 474.

(62) A. Gonzàlez Palencia, Los mozárabes de Toledo, III, pp. 449-50.

الزيتون والفواكه المجففة، ما جعل الرحالة ابن جبير الأندلسي في آخر القرن الثاني عشر يقول: «فيما يخص الأغذية، والفواكه، والأطايب الأخرى... كان الأندلس مفضلاً من بين جميع البلدان باستثناء الحجاز فقط»[63]. ولم يكن ابن جبير هو الوحيد المعجب، ذلك أن مصادر أخرى لاحظت أيضاً وفرة الزيتون وأشجار الفواكه الأندلسية.

كان زيت الزيتون الصادرة الرئيسية من شبه الجزيرة الإيبرية تحت حكم الرومان والمسلمين والمسيحيين ولا يزال يصدر في الوقت الحاضر. إن الأهمية الاقتصادية للمحصول وتطور زراعة الزيتون المكثفة في الأندلس، قد تبينت من خلال واقع أن اللغة القشتالية والبرتغالية خلاف اللغات الأوروبية الأخرى قد اشتقت كلمة زيت الزيتون aceite/azeite من اللغة العربية «زيت» في حين أن الفرنسية والإيطالية الكتلانية والانجليزية حتى الألمانية قد استخدمت اشتقاق اللاتينية oleum.

لقد كان الجغرافيون والمؤرخون العرب مجمعين على مدحهم زيت زيتون الأندلس، وبخاصة الزيت المصدر من إشبيلية، وكان المحصول في هذه المنطقة غزيراً حتى أن الرازي ادعى أنه «إذا لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون، فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف»[64]. وظل الإنتاج والتصدير عاليين خلال عهد الطوائف عندما وصف العذري المنطقة حول إشبيلية بأنها «مزروعة بشجر الزيتون القديم... وقد بوركت المدينة بإنتاجها، وشروطها الثابتة التي لا تشوبها شائبة. وقد صدر الزيت من خلال البلاد، بعيداً وبعيداً... وأرسل النوع الممتاز المعصور إلى معظم المناطق البعيدة، ونقل بحراً إلى الشرق»[65]. وفي الزمن نفسه تقريباً هناك رسالة كتبها تجار ذوو علاقة مع المؤسسة التجارية لابن حوقل تبين أيضاً بيوع الزيت

---

(63) Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubair. trans. R.J.C. Broadhurst, London, 1952, p. 117.

(64) Razi, "Description," p. 93.

(65) 'Udhri, "Nuṣuṣ," p. 95.

الغربي من الأندلس أو من أفريقيا في مصر[66]. وتدحض هذه الدلائل فكرة نقل الزيت الأندلسي إلى شرق المتوسط تدحضُ الفكرة التي يتمسك بها بعضهم من أن زيت الأندلس أتجر به في مراكش فقط، كأبعد مسافة في زمن الأمويين أو عهد الطوائف[67].

وقد ازدادت البراهين على انتشار تجارة الزيت في القرن الحادي عشر، عندما أكد الإدريسي أن «الناس في [إشبيلية] ميسورون، وأن معظم تجارتهم هي في زيت الزيتون، الذي صدر من هناك، إلى أبعد مكان في الشرق والغرب بحراً وبراً، وأن الزيت كله يأتي من [منطقة] شرف sharaf وشرف هذه تبعد أربعين ميلاً [عن إشبيلية]». وذكر الإدريسي أيضاً أن الإشبيليين التجار نقلوا الزيت إلى صالح على الشاطئ الغربي لمراكش لمقايضته بالحبوب[68]. وطبقاً لمعلومات الإدريسي، وصف الزهري إنتاجية شرف في آخر القرن الحادي عشر وثبّت في كتابه أن «بلاد الروم والمغرب وأفريقيا ومصر والإسكندرية» كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي ويضيف إنه من الممكن أن تكون كمية ضئيلة وصلت إلى اليمن[69]. وروى الشَقُندي (كتب بين 1199 ـ 1212) أيضاً أن إشبيلية قد صدرت زيتها إلى الإسكندرية، وقد أيدت هذه المعلومات رواية الميموني (توفي 1204) أن المراكب المحملة بالزيت قد أمخرت من الوادي الكبير في إشبيلية إلى البحر، ومن هناك ذهب مراراً إلى الإسكندرية»[70]. وقد تلقى مسيحيو إسبانيا الزيت الأندلسي، وتضم قوائم حركة المرور القشتالية بورتازجو Portazgo من أوكانا Ocana من أوائل القرن الثالث عشر حيث

(66) N. Stillman, "The Eleventh-Century Merchant House of Ibn 'Awkal, A Geniza Study," JESHO 16,1973, p. 66.

(67) See, for example, the maps provided by M. Lombard, The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p. 166.

(68) Idrisi, Opus, v,p, 541, and Opus, III, Naples-Rome, 1972, p. 239.

(69) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," p. 218.

(70) Shaqundi, in Maqqari, Analectes, II, p. 143; Moses b. Maimon, Responsa. ed. J. Blau, Jerusalem, 1957-61, II, p. 576.

تذكر الضرائب «الزيت القادم من بلاد مراكش»[71].

وكما هي الحال بالنسبة إلى الزيتون الذي كان يحفظ من خلال عصره أو كبسه بالملح وينقل إلى مسافات بعيدة، كذلك فإن الفواكه قد أمكن حفظها بالتجفيف والتحلية والتعقيد. وكان التين أفضل فاكهة أندلسية معروفة للتصدير، وخاصة خلال عهد الناصريين، عندما وصف ابن بطوطة تين ملقا Malaga قال: «كان مجففاً بالشمس ومصفوفاً في سلال حمر» من أجل النقل[72]. وعلى الرغم من أن أشجار الحمضيات قد زرعت في شبه جزيرة إيبريا في العصور الوسطى، إلا أنها لم تصل إلى مستوى دولي كالمستوى الذي أحرزه برتقال بلنسيا اليوم[73]. وكما هي الحال بالنسبة للزيتون فقد كرر الجغرافيون ذكر فواكه الأندلس الممتازة وإنتاجها. ووصف ابن حوقل إشبيلية قال: «فيها كثير من الموجودات وبخاصة ثمارها، ونبيذها وتينها» كما صارت سراكوز فيما بعد «معروفة في أرجاء المعمورة الأربع» بـ «غناها بالثمار الممتازة»[74].

واستناداً إلى كلام أحد المهندسين الزراعيين، وهو أبو الخير الإشبيلي، فإن تين دونج كان يأتي إلى شبه الجزيرة من بيزنطا في القرن التاسع[75]. ولعل شبه الجزيرة قد أنتجت التين قبل ذلك، حيث أن جزءاً من رهبانية

---

(71) J.L. Martin, "Portazgos de Ocaña y Alarilla" AHDE 32,1962, p. 523.

(72) Ibn Battuta, The Travels of Ibn Battuta, A.D. 1325-1354. III, trans. H.A.R. Gibb, Cambridge, 1971, p. 547.

(73) شملت حمضيات العصور الوسطى اليوسفي والليمون بنوعيه والكباد والنارنج وحامض «إشبيلية» أو البرتقال ولكنها لم تصل إلى مرحلة التصدير للتجارة الدولية.

See A. Watson, Agricultural Innovation in the Early Islamic World. Cambridge, 1983, pp. 42-50.

(74) Ibn Ḥawqal, Kitab Surat al - ard, p. 115; Ibn Shabbat "Un fragmento de la obra de Ibn al-Shabbat s. XIII sobre al-Andalus" trans. E. de Santiago Simon, Cuadernos de historia del Islam 1973, p. 62.

(75) D. Wasserstein, "Byzantium and al-Andalus," Mediterranean Historical Journal 2,1987, p. 85.

كوربي Corbie الفرنسية مؤرخاً في 716، يذكر مئة رطل من التين إلى جانب صادرتين إيبريتين غالباً هما الجلد والكمون القرطبيان[76]. ومن المؤكد أن التين قد ازدهرت زراعته في زمن عبد الرحمن الثالث، الذي قيل إنه أمر بإرسال شحنة من ثلاثمئة قفيز qafiz من التين إلى شمال أفريقيا في سنة 636[77]. وفي القرن التالي ذكر فيرو Fuero سبولفيدا Sepulveda سنة 1076 ضريبة فرضت على Figos troxiere de tierre de moros (ضريبة على تين من بلاد مراكش) [78]. ومن ثم صارت معارفنا عن تجارة التين وتصديره أفضل منذ القرن الحادي عشر وما بعد، عندما جددت ملقا وإشبيلية إنتاجهما من التين. وقد ثمّن الإدريسي وغيره من المؤلفين تين ملقا، في حين أن السقطي، مراقب السوق في هذه المدينة في أوائل القرن الثالث عشر، وصف الصفقات التجارية من تين إشبيلية وقال إنه كان «من حجم كبير ولون أسود داكن»[79]. وفي الوقت نفسه، روى الشقندي أن تين ملقا كان «يباع بعيداً في بغداد كأي شيء ثمين ونادر»[80]. وناقش القاضي ابن سلمون فيما بعد تأجير مركب لنقل مئة بوش bushels (مكيال انجليزي للحبوب 36,35 لتراً) من التين من مدينة إشبيلية وسبتا، وكذلك المشكلات القانونية التي نشأت بعد أن عصفت به الريح إلى ميناء صالح .Sale وعلى الرغم من أن ابن

---

(76) L. Levillain, Examen critique des chartes merovingiennes et carolingiennes de l'abbaye de Corbie. من المحتمل أن التين كان ينمو في جنوب فرنسا .Paris, 1902, PP 235 - 6.

(77) Ibn Ḥayyan, Muqtabas, v, eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subḥ, Madrid-Rabat, 1979, p. 389. "Notas de metrologia hispano-arabe, II: Medidas de capacidad," Al-Andalus,42,1977, pp. 89-94; "Notas de metrologia hispano-arabe, III: Pesos y monedas," Al-Qantara 5,1984, p. 167.

إذا كان J. Vallve مصيباً في تقديره أن قفيظ qafiz (64 - 54) رطل فقد كان هذا حمولة كبيرة.

(78) Los Fueros de Sepulveda. ed.E. Saez, Segovia, 1953, p. 138.

(79) Idrisi, Opus, v,p. 570; Saqati, Kitāb al-faqih al-ajall al-alim al-arif al-awhad, Un manuel hispanique de hisba. eds. G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Paris, 1931, p. 17.

(80) Maqqari, Analectes, II, p. 148.

سلمون كتب في القرن الرابع عشر، فإن هذه الحالة تؤرخ اعتباراً من مرحلة فتح إشبيلية من المسيحيين. وفي ضوء أهميته للقاضي المسلم، فإن التين يعود لتجار مسلمين ينقلون بين الأندلس والمغرب[81].

وقد أنتج الأندلس العنب والزبيب والنبيذ على الرغم من أن التصدير الدّولي لهذه المواد لم يُوثق جيداً قبل القرن الثالث عشر. ونظراً لتحريم شرب الكحول في الإسلام، فإن ندرة الدلائل على التصدير أو الاستهلاك العلني للنبيذ الأندلسي غير مفاجئة، على الرغم من أن وجوده غير واضح أيضاً. وخلال القرن الحادي عشر، كتب صموئيل بن نغريلا وهو الشاعر والسياسي اليهودي مادحاً الخمر: «أحمر ظاهره لذيذٌ طعمه، خمر إسبانيا في الشرق ذاعت شهرته» مما يدل على أن نبيذ ملقا وجرز Jerez وغيرهما من مناطق الأندلس كان مفضلاً حتى في هذه الفترة، من قبل غير المسلمين على الأقل[82]. ولربما كان استهلاك النبيذ مقيداً في إسبانيا المسلمة أكثر من الشرق حسب جوتين[83]. وقد كرر القضاة والمحتسبون مراراً تحريم شرب الكحول على الرغم من أن عددهم يوحي أن أحكام المنع قد نُقضت، ولعل القيود زادت تحت حكم المرابطين والموحدين. وفي القرن الحادي عشر، حذر ابن عبدون وبصورة خاصة أنه يجب عدم السماح للبحارة أن يشتروا النبيذ من التجار المسيحيين في ميناء إشبيلية وإذا وصل ذلك إلى أسماع «الأمين» عليه أن يؤدب البحّارة[84]. وإذا كان النبيذ سلعة تجارية دولية فقد قُدم الشراب للبحارة

---

(81) Ibn Salmun, Kitāb al-aqd al-munazzam bi al-hukkam. Escorial, ms. 1077, fol. 120r.

(82) The Jewish Poets of Spain. trans. D. Goldstein, London, 1965, p. 47.

حول صناعة اليهود للخمر في الأندلس، ن،

N. Roth, "Some aspects of Muslim-Jewish Relations in Spain," Estudios en homenaje a D. Claudio Sanchez-Albornoz. Buenos Aires, 1983, II, pp. 206-12.

(83) Goitein, Mediterranean Society, I,p. 122.

(84) Ibn 'Abdun, Risala, in Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge: Trois traités hispaniques de hisba. ed. E. Lévi-Provençal, Cairo, 1955, p. 57.

وغيرهم على ظهر المراكب غالباً. ومن المؤكد أن عدة أعمال للشعراء تصف مجالس الشراب، منهم ابن سفر من الماريا الذي كان معاصراً لابن عبدون تقريباً يصف شنشنة (الكؤوس) في حفلات الشرب على ظهر المراكب[85].

الفلزات والمعادن

كانت شبه جزيرة إيبريا غنية بالفلزات وقد ذكر الجغرافيون مراراً توافر الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والزئبق والزنك ومواد أخرى في أرض الأندلس[86].

ولم تكن هذه المواد متوافرة كفاية ليسمح بالتصدير، على الرغم من أن عدداً من المواد والمعادن الأندلسية وبخاصة النحاس والزئبق والقصدير والرخام قد وجدت طريقها إلى مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. واستناداً لكلام المؤلف المشرقي أبي الفضل الدمشقي فقد كانت أفضل أنواع النحاس «تلك التي استخرجت من الأندلس بسبب قابليتها للمعالجة»[87]. وقد أظهرت وثائق الجينيزا أنواعاً كثيرة من النحاس المُصَدَّر من الأندلس بما في ذلك النحاس الملمع الصقيل والمطروق والمسبوك والمسحوق والمرن[88]. ولعل هذه الأنواع الأخيرة هي التي ذكرتها إحدى الرسائل على أنها أرسلت من الماريا إلى فاس في أوائل القرن الحادي

---

(85) Ibn Said al-Gharnati, Rayat al-mubarrizin wa ghayab al-mumayyizin. ed. A.M. al-Qadi, Cairo, 1393/1973, p. 107. Also on wine, see L. Bolens, "La viticulture d'apres les traites d'agronomie andalous XIe-XIIe siecles," L'Andalousie du quotidien au sacre, XIe-XIIIe siecles. Aldershot, 1991, article V, pp. 1-7.

(86) من بين الجغرافيين الذين ذكروا معادن الأندلس Razi, "Description," p. 62; Hudud al-alam, p. 154; and Ibn Ḥawqal, Kitâb surat al-ard, p. 114.

(87) Dimashqi, Kitāb al-ashara ila mahasin al - tijara. Cairo, 1318/1900, p. 28.

(88) S.D. Goitein, "Judeo-Arabic Letters from Spain, early 12th century," Orientalia Hispanica; Studies in Honor of F.M. Pareja. Leiden, 1974, p. 349. الترجمة لجوتين.

وتأتي الإشارة إلى النحاس «المرن» من: J. Vallve. 12.435 TS قد اقترح أن بعض الأدلة على النحاس تعني البرونز "La industria en al-Andalus," p. 216.

عشر والتي أثارت اهتمام الدمشقي. وأشار كتّاب آخرون لرسائل الجينيزا ومن الفترة نفسها إلى النحاس حيث ذكرت واحدة منها شحنة أرسلت من الماريا إلى تلمسان نحو 1140، وفي كتاب آخر من الإسكندرية إلى القاهرة القديمة في سنة 1140 يقول: «أريد أن أعرف سعر سبائك النحاس الأندلسي، لأنه لديَّ بعضها، فإذا كان لها سوق، فأرغب بإرسالها»[89]. وكان بعض النحاس الأندلسي على شكل مادة خام في حين كان بعضه الآخر مشغولاً. وقد ثمن الإدريسي، خاصة، الآلات والأدوات النحاسية المصنوعة في الماريا، وقد صدق رأيه من خلال كثرة الأدلة في رسائل الجينيزا على الأواني النحاسية الأندلسية[90]. وقد ذكرت قوائم جهاز العروس مثلاً بعض المصابيح الأندلسية وطسوت نحاسية أندلسية من بين ممتلكات العروس الجديدة[91]. وقد نُقل النحاس الأندلسي إلى شمال إسبانيا المسيحي أيضاً، وذكرت قوائم التعرفة في إيبرو Ebro في القرن الثاني عشر رسوماً مفروضة على شحنات النحاس القادمة من مناطق ريوتينو Riotinto والجسترل Aljustrel، الباقية تحت سيطرة المسلمين[92].

وبعد النحاس فإن الزئبق ومشتقاته أي كبريت الزئبق (زِنْجَفْر، سلقون) كان أكثر المواد المعدنية الأندلسية المصدرة. وبين الاستخدامات الأخرى كان الزئبق مهماً لتنقية الذهب في حين أن كبريت الزئبق ينتج اللون القرمزي وخضاب صبغ يستعمل في الأصبغة والحبر والتلوين. وإن الإشارات أو الأدلة على تصدير الزئبق الأندلسي هي أقدم من تلك الأدلة على تصدير النحاس وهذا وفق وصف المسعودي للزئبق الأندلسي الذي «صُدر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي» في وسط القرن الثاني عشر[93]. وكان أحد

(89) Bodl d74.41; TS Arabic Box 40.113.

(90) Idrisi, Opus, v, p. 562.

(91) TSJ 1.29; Firkovitch II, 1700.

(92) Gual Camarena, "Peaje," p. 182.

(93) Mas'udi, Muruj, p. 367.

المناجم الأندلسية شمال قرطبة في مكان Almaden (وهي من العربية المعدن) بمعنى المنجم أو مكان التعدين مشهوراً بزئبقه وكبريتات الزئبق، وكانت فتحة المنجم تزيد على مئة وخمسين قامة qama، طبقاً للإدريسي، حيث اشتغل بذلك ألف عامل منجم. وكان إنتاج هذا المنجم يصدر إلى «جميع أنحاء العالم»[94]. ولعل الإدريسي قد بالغ بهذه الأرقام، ولكن أهمية المعدن Almaden في هذه الفترة قد برز من خلال سيطرة المسيحيين عليه واستثماره ومن استعادته من قبل الموحدين، حتى القرن الثاني[95]. وقد ذكرت وثائق جينيزا الزئبق وكبريتاته من بين الصادرات الأندلسية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. ومن خلال مثال واحد، فإن سجلاً قصيراً من دينيا نحو سنة 1083، يصف تسوية خلاف كبريت الزئبق المرسل من الأندلس إلى أفريقيا بفضل أحد الوكلاء. وبعد قرن من الزمان، وفي مكان بعيد وجدت لائحة أسعار من عدن عرضت أسعار الزئبق وكبريته إلى جانب أسعار سلع أندلسية أخرى[96].

«وربما» كما كتب تاجر من مصر إلى صقلية في وسط القرن الحادي عشر: «كان يمكنك شراء بعض القصدير لي» حيث أن القصدير كان من

---

(94) Idrisi, Opus, v, p. 581.

كان الإدريسي يشير إلى الطول وليس العمق وذكرت مناجم تعدينية أخرى لتصدير الزئبق والكبريت الزئبقي من قبل الدمشقي في كتاب الإشارة...

Dimahqi, Kitāb al-'ashara, p. 29; Ibn Ghalib, "Nass andalusi jadid qatia min kitāb farha al-anfus li-Ibn Ghalib" ed. L. 'Abd al-Badi, Majalla ma'had al-makhtutat al-'arabiya 1,1955,p. 289; Zuhri, "Kitāb al-dj'arafiyya," p. 220; and Yaqut, Mu'jam, I, p. 733.

(95) J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, p. 299.

(96) TS 12.570; Mosseri L12.

في هذه الرسالة اللائحة المؤرخة في سنة 1198 لم يحدد إذا كان الزئبق وكبريت الزئبق أندلسيين بل ذكرا بعد سلع من مدريد وشلوذ shalwadh

S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. Princeton, 1973, p. 215, notes 14-17.

الصادرات الأندلسية الأخرى، ومن المحتمل أن هذا الطلب يدل على إنتاج إسبانيا المسلمة، وبصورة خاصة منذ أن حدد الكاتب أن المواد المشتراة من تاجر أندلسي، واستمر مع تعليمات لشراء الحرير الأندلسي[97]. وقد ربط جوتين إشارة إلى القصدير في حسابات نهريا بن نسيم من سنة 1060 مع حركة نقل القصدير الأندلسي إلى مصر[98].

وهناك مواد معدنية أخرى بما فيها الزنك والكبريتات وحجر الكحل قد صُدّرت من الأندلس ولكن على نطاق ضيق لا يمكن تقويمها بسبب قلة المراجع. وقد اتجه الجغرافيون إلى تسجيل المواد التي تذكر في قوائم كبيرة من إنتاج الأندلس، على الرغم من أن الزهري قد أضاف الكبريتات/ السلفات الحمر التي استخرجت قرب مورسيا Murcia، وصدرت بعيداً إلى العراق واليمن وسورية والهند[99]. ويكون حجر الكحل على شكلين: كحل (Kohl) وإثْمُدْ (ithmid) وكان الأول أكثر صلاحية للتجارة. وقد استعمل الاثنان كمادة تجميلية للوجه والشعر ولأغراض طبية وكذلك لتركيب مواد كيميائية أخرى[100]. وكتب البكري أن الكحل نقل من ترتوزا/ أو طرطوشة Tortosa إلى «جميع البلاد» في القرن الحادي عشر، في حين أن الزهري كتب متأخراً عن تصديره من قرطاجنة إلى المشرق ونقل الإثمد من منطقة غرناطة إلى شمال أفريقيا[101]. وبعد قليل من تقرير الزهري ذكرت لائحة أسعار من آخر القرن الحادي عشر من عدن البعيدة كحولاً قادمة من قرية أندلسية تدعى شلوذا shalwadh وبيع بـ «17 [ديناراً] للكيس أو (غراره)»[102]. وقبل ذلك بقليل أي في نحو سنة 1137، كتب تاجر في الأندلس يخبر زوجته أنه أرسل

---

(97) TS 12.389.

(98) TS Arabic Box 30.215; Goitein, Letters, pp. 290-5.

(99) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," pp. 208,276.

(100) L. Bolens, "Henné et Kohl: Le corps peint du rituel nuptial chez les hispano-arabes du moyen âge," Razo 7,1987, pp. 63-79.

(101) Bakri, Masalik, pp. 129-30; Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," p. 211.

«ست سلال من الكحل» إليها. وكان بعضها لاستعمالها الخاص، إلا أن الكمية توحي بهدف تجاري[103].

وقد أتجر بالرخام الأندلسي خارجاً، وكان المقري أحد الذين سجلوا مواصفاته وإعجابه، فكان مرغوباً في المشرق[104] إذ كانت له ألوان مميزة ومواصفات تتعلق بمقلعه، وتطور تجارته دولياً في الحجم وثقل المادة، وقد عُرفت الماريا برخامها الأبيض وكذلك بطراز قطعها له، وقد عثر على أربعة تماثيل في غرب أفريقيا في قرية جاو Gao ونسبت إلى ورشات نحت الماريا. وتؤرخ جميعها في العقود الأولى من القرن الحادي عشر عندما حكم المرابطون شبه جزيرة إيبريا وشمال أفريقيا، وكانت جاو محطة مهمة على طريق الذهب الذي يبدأ في السودان. وإذا كان الرخام قد نقل إلى الجنوب من أجل التجارة، بصورة أكثر من الفترة التي كان فيها النقل التجاري سهلاً من خلال حكم توسعي لسلالة واحدة . فلعله صار مادة تبادلية للذهب[105].

وكان المرجان الملتقط من شواطئ المغرب والأندلس مصدراً للثروة في غرب المتوسط، على الرغم من أن بعض الموانئ بدت مبالغة في تجارتها. وقد ذكر الخُرداذبُهْ المرجان من بين البضائع التي نقلت إلى المشرق

---

(102) Mosseri L12. See also Goitein, Letters, pp. 212-16.

يؤكد ياقوت أن shalwadh قد أنتجت الكحل. Mu'jam, 111, p. 316 .

(103) TS 13 J 27.17. ترجم جوتين الكحل بـ collyrium انظر:

"S.D. Goitein Glimpses from the Cairo Geniza on Naval Warfare," Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida. Rome, 1956, I, pp. 404-5.

(104) Maqqari, Nafh al-tib min ghusn al-Andalus al-ratib. Cairo, 1949, I, pp. 187-8.

(105) حول أنصبة جاو انظر: see J. Sauvaget, "Les épitaphes royales de Gao," Al-Andalus 14,1949, pp. 123-41; M. Vire, "Notes sur trois épitaphes royales de Gao," Bulletin de l'Institut français d'Afrique du Nord 20,1958, pp. 368-76; R. Mauny, "Decouverte a Gao," pp. 514-6.

وحول نمط الماريا: L.Torres Balbás, "Cementerios hispanomuslmanes," Al-Andalus 22,1957, pp. 180-1.

من قبل التجار الراذانيين. وروى البكري (كتب في سنة 1060) إن المرجان كان «يستخرج من البحر حول الأندلس» ومن المدهش أنه «التقط قنطار تقريباً [أي نحو 8.000 رطل] في أقل من شهر من منطقة الماريا [وحدها]». وهناك معلومات غير مقنعة من أواخر القرن الثاني عشر في كتاب «الاستبصار» تقول إن المرجان «بيع بسعر مرتفع في الهند والصين»، ولعل الصحيح هو أن إنتاج البلدين كان منافساً لإنتاج الأندلس من الأنواع المحلية[106].

الفخاريات

إن المراجع عن تجارة الفخاريات متوافرة من خلال النماذج الفخارية الموجودة ومن الوثائق الكتابية، على الرغم من ذلك فالأمر ليس سهلاً دائماً[107]. فالإدريسي على سبيل المثال، يروى أن مناطق كلاتايود Calatayud صنعت الأواني الفخارية المُذهبة التي «صدرت إلى جميع المناطق» كما أنّ وثيقتين من وسط القرن الحادي عشر تصفان عقوداً لبيع فخاريات مذهبة. وتوحي هذه التقارير أن صناع الفخار المسلمين في شبه الجزيرة، كانوا ينتجون بعض الأنماط البهيجة والجميلة خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر ولكن لم يبق أي نموذج الآن. وقد أطلق هذا النقص شرارة شر عنيف حول المواقع والتأريخ للإنتاج الأندلسي من الأواني الفاخرة[108].

---

(106) Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik, p. 92; Bakri, Masalik, p. 129; E. Fagnan ed., Kitāb al-istibsar, Constantine, 1900, p. 29.

(107) G. Rossello Bordoy قدم روسيللو بوردوي تحليلاً مختصراً ومراجع حديثة عن فخاريات الأندلس:

"The Ceramics of al-Andalus," in Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. ed. J. Dodds, pp. 97-103. See also J. Zozaya's overview of Andalusi ceramic types in "Aperçu général sur la céramique éspagnole," in La céramique médiévale en Méditerranée occidentale. Paris, 1980, pp. 265-96; M. Gonzalez Marti, Céramica del levante espanol, siglos medievales. Barcelona, 1944; and F.C. Lister and R.H. Lister, Andalusian Ceramics in Spain and New Spain. Tucson, 1987.

(108) R. Idrisi, Opus, v, p. 554; the term in question is al-ghaddarr al-mudhahhab. =

وفي سياق آخر، فإن الملقيات الأثرية وانتشار الخزف، يضيفان معلومات مفصلة ومدعمةً صورة الوثائق المنوعة لتجارة خزف الأندلس. وقد عثر على ثلاثة مراكب عربية غارقة في شاطئ البرفانس، حيث قدمت كسراً خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في القرن العاشر[109]. وكذلك فإن الخزف المزجج كان نمطاً مميزاً في القرن الحادي عشر في دولة الطوائف في دينيا Denia، وتم تحصيل كميات من شرق إسبانيا توحي بدورها بتوزيع

= Dozy and M.J. de Goije translate ghaddar as "poterie" Idrisi, Description de l'Afrique et de l'Espagne. Leiden, 1866, p. 354. See also Goitein, Mediterranean Society, I, p. 111.

إن التعبير المقصود هنا هو الغضار al-ghaddarr المذهب التي ترجمها دوزي وبـ فخار أو خزف، ويدلّ في الواقع على خزف من نوع رفيع. إن تهجئة وترجمة مُذّهب، قد أثارت النقاش فهو يعني بالانجليزية gilded وُشي بالذهب أو يعني مجرد مبني للمجهول «مذهب» من ذهب انظر:

see Ibn al-Khatib, "El 'Parangon entre Malaga y Salé de Ibn al-Khatib' trans. E. Garcia Gómez, Al-Andalus 2,1934, p. 187. A. Lane "is doubtful whether El-Edrisi's statement should be trusted" "Hispano-Moresque Pottery: A Reconsidereration," Burlington Magazine 88,1946, p. 246.

مراجع الوثائق هي: ابن مغيث المغني في علم الشروط:

Real Academia de la Historia, Madrid, Gayangos, ms. 44, 36ff.

(لم أتمكن من فحص هذا المرجع كمخطوط).

Fihri, Wathaiq wa al-masa'il. Miguel Asin Institute, CSIC. Madrid, ms. II, fol. 24r.

إن ذكر الخزف المذهب من قبل هؤلاء المؤلفين قد لوحظ من قبل:

M. Gomez Moreno, "La loza dorada primitiva de Málaga," Al-Andalus 5,1940, p. 385.

ثم كُررت المعلومة من قبل Gomez Moreno كلمة فكلمة من قبل مؤرخي الفن المتأخرين انظر مثلاً:

A.W. Frothingham, Lustreware of Spain. New York, 1951, p. 12; L.M. Llubia Munne, Ceramica medieval española. Barcelona, 1967, p. 56; M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics" Ph.D. Dissertation, New York University, 1978, p. 185.

(109) G. Vindry, "Prèsentation de l'èpave arabe de Batèguier. Baie de Cannes, Provence orientale," La cèramique mèdièvale en Mèditerranèe occidentale. Paris, 1980, p. 225.

تجاري[110]. كما عثر على كسر خزفية أندلسية ضئيلة في أماكن أبعد أي في حفائر في القاهرة، تعود للعصر الفاطمي، كما عثر على كسر قرطبية من القرن الثاني عشر لخزف مطلي بالمينا، في منطقة جاو في غرب أفريقيا[111]. وترينا أدلة من إيطاليا جراراً فخارية وآنية طاولة تؤرخ في القرن الثاني عشر حتى القرن الثالث عشر، وكانت استوردت على نطاق مهم[112].

إن معظم أمثلة الأشياء والأدوات الملفتة للنظر والمنتشرة في العصور الوسطى، تأتي من بيزا ومدن إيطالية اخرى، حيث استعملت قطعاً صغيرة فخارية مزججة أو صحوناً كاملة، في العمارة أو الزينة بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر، وقد دعي هذا الخزف بصورة عامة بتشيني bacini الذي يعطي انطباعاً كأنه جوهرة من خلال انعكاس ألوانه الفنية، عندما يثبت في الجدران الخارجية للكنائس أو الأبنية الأخرى. وقد أمكن إحصاء 1700 بتشيني من الخزف على أبنية في شمال إيطاليا من أصول مصرية ومن شمال أفريقية وصقيلية وإيطاليا وبيزنطا وإسبانيا. وقد أجاز لنا الخزف وطراز العمارة في بيزا خاصة، بتحديد تأريخ لقطع بتشيني إفرادية. وقدمت تحاليل علمية جديدة لهذه المواد المهمة معلومات وافرة عن حركة الخزف وانتقاله بين إيطاليا ومناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط[113].

---

(110) J.A. Gisbert, "La ciudad de Denia y la produccion de ceramicas vidriadas con decoracion estampillada," Sharq al-Andalus 2,1985, pp. 161,166.

(111) A. Lane, Early Islamic Pottery. London, 1947, pp. 20-1; R. Mauny, "Decouverte a Gao d'un fragment de poterie emaillee du moyen age musulman," Hespèris, 39,1952, pp. 514-16.

(112) D. Whitethouse, "Medieval pottery in Italy: The present state of research," La cèramique medièvale en Mèditerranèe occidentale, p. 72. See also I. Cabona et al., "Contributi dell'archeologia medievale ligure alle conoscenze dei prodotti ceramici nel Mediterraneo occidentale," La ceramique medievale en Mèditèrranee occidentale, pp. 117-18.

(113) يوجد في بيزا ثمانية وثمانين بناء أو أبنية مزينة بالبتشيني انظر:

= See H. Blake, "The Bacini of North Italy," La céramique medievale en

وهناك قرابة عشر كنائس، بنيت بين 1063 و 1175 تتضمن قطع بتشيني من أصل أندلسي كما يُظن، كما أن أبنية متأخرة ضمت عدداً كبيراً من الخزف الإسباني. وإن كثيراً من البتشيني مزين ومزجج وفق تقنية أندلسية مميزة تدعى cuerda seca وتؤلف تصميمات مستخدمة قطعاً مزججة تثبت بفضل خطوط غير مزججة. وعلى الرغم من أن مؤرخي الفن يختلفون حول المنشأ الأصلي لهذه الأنماط الخزفية، وبصورة خاصة، الحالات التي يتم فيها تبني بعض الأنماط من منطقة أو أخرى، إلا أن التحاليل المعدنية أثبتت أن بعض البتشيني كان قد صُنع من صلصال إيبري مستخرج من منطقة ملقا غالباً[114]. ونظراً لذكر الجغرافيين الخزف المزين أو المذهب: الملقي، ولأن كسراً مزينة عثر عليها في ملقا نفسها، فمن المؤكد أن هذه المدينة كانت دعامة في تجارة الخزفيات المزخرفة في القرن الثاني عشر، وكان بعضها قد وجد طريقه إلى مدينة بيزا في إيطاليا[115].

Méditerranée occidentale, p. 93.

ومقالات أخرى حول البيتشيني في المجموعة ذاتها حيث كرس عالمان ج.برتي ول.تونجيورجي لدراسة بتشيني لـ بيزا ووصلا إلى دراسة واسعة ومحددة عن الصحون. وقد جمعت دراستهما في كتابهما G. Berti, L. Tongiorgi.

I bacini ceramici medievali delle chiese di Pisa. Rome, 1981,

وكذلك عدد من كتابات الأسماء بحروفها الأولى والمقالات، وانظر من بينها:

Ceramiche importate dalla Spagna nell'area pisana dal XII al XV secolo. Florence, 1985, and Arte islamica in Italia: i bacini delle chiese pisane. Rome, 1983.

إن أهمية البيتشيني في تجارة البحر الأبيض المتوسط قد درست من قبل:

D. Abulafia, "The Pisan Bacini and the Medieval Mediterranean Economy: A Historian's Viewpoint," Papers in Italian Archeology 5,1985, pp. 287-302.

(114) Cabona, "Contributi," p. 120.

(115) اقترحت هذه النظرية من قبل: Gomez Moreno in 1940 "La loza dorada," p. 394.

ورغم النقاشات فقد قام علماء بنقد النتائج التي توصل إليها Gomez Moreno وهناك بعض البراهين التي تدعم النظرية العامة بتصدير ملقا. انظر أيضاً:

Lane "Early Hispano-Moresque Pottery," p. 249; Frothingham, Lustreware, p. 11; M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics," pp. 178-9; D. Whitehouse, "La =

الجلد والورق

إن شهرة إيبريا العالية في الصناعات الجلدية قد توطدت منذ القرن الثامن واستمرّت حتى العصر الحديث وقد اشتهر جلد قرطبة بصفة الليونة، ما جعله مثالياً لصناعة الأحذية والكراسي والحقائب وأطقم الفرس، الخ. وقد صنعت الجلود من جلد الماعز عادة، وتصنع باللون الأحمر (بعد معالجتها بالشب والقرمز)، ومن ثم يقطع ويصنع ويزين بالذهب أحياناً مع أشكال على وجهه. وعلى الرغم من التحذيرات الواردة في الفصل السابق والمتعلقة بالتسميات والأصول الصحيحة للجلد القرطبي Cordoban، فمن الواضح أن كميات كبيرة من الجلد قد أنتجت وصدرت من شبه الجزيرة. من جهة أخرى، ومع انتشار الجلد القرطبي في أوروبا، فليس هناك برهان على توزيعه داخل دار الإسلام[116].

إن مسألة مركزية التوزيع في أوروبا أقل صحة بالنسبة لأنماط أخرى من الجلد المصنع ومثل Guadameci الذي ذكر مراراً في المصادر الغربية. من جهة أخرى، كان هذا الجلد مشابهاً للقرطبي، بحيث اختلط الاثنان غالباً، ولكن اسمه بقي ثابتاً. وعلى الرغم من أن اسمه مشتق من اسم المدينة المغربية غدم Ghadames، فقد كان ينسب إلى الأندلس إلى جانب شمال أفريقيا. وخلافاً للقرطبي فإنه يصنع من جلد البقر ويذهّب ويلون مما يجعله مناسباً لأغراض الزينة[117]. ويبدو محتملاً أن رأي ابن سهل المتعلق بشراء

---

collezione pisana e la produzioni ceramiche dei paesi circummediterranei nei secoli XI-XV," Bollettino storico pisano. Collana storica, 25,Pisa, 1983, p. 34. =

(116) لعل القرطبي صدر إلى العالم الإسلامي ولكن ليس بهذا الأسم على الرغم من أن الجغرافيين لم يذكروا جلداً مصنعاً بين الصادرات الأندلسية. وتتضمن رسالة من جنيزا من سنة 1050 (ULC Or 1080 J 77) أمراً تجارياً لبضائع أندلسية بما فيها شيء يدعى قرطبي Qurtubi وقد فسر جوتين (Mediterranean Society, IV, P. 169) هذا كنمط من نسيج الحرير حيث أن المواد التي تسبقه هي مصنوعات، ومن جهة أخرى، ربما أن المواد التالية هي أحذية فمن الممكن أن ذكر قرطبي يقصد فعلاً الجلد القرطبي.

(117) من أجل المزيد عن هذين المنتجين J. Ferrandis Torres, Cordobanes y guadamecies; = Catálogo ilustrado de la exposicion. Sociedad de amigos de arte. Madrid, 1955

«جلد مزين بخيوط ذهبية» قرطبي، يدل على Guadamece (أو قرطبي احتمالاً) [118].

وقد عثر على مراجع لاتينية عن القرطبي منذ أول القرن الثامن عندما منح الملك المرقنجي تشيلبيريك الثاني أسقف كوربي سنة 716 شهادة ذكر فيها «عشرة جلود قرطبية»[119] ومنذ ذلك الزمن يبدو على وجه الاحتمال أن صناعة الجلود القرطبية قد استقرت وأسست سوقاً دولية خلال خمس سنوات بعد الفتح العربي لشبه الجزيرة في سنة 711، ويجب افتراض أن قرطبة (ومناطق أخرى غالباً) كانت قد صنعت هذا المنتج في زمن القزجوت. وفي نهاية القرن الثامن أو بداية التاسع ذكر الشاعر ثيودولفوس Theodulfus نقل «جلد يحمل اسم قرطبة» إلى أرلس Arles، وكان بعض منها أبيض وآخر أحمر[120]. وبعد ذلك بقليل أي في سنة 833 تشير احدى الوثائق العائدة لأسقف سنت فاندريل St.Wandrile إلى نفقة سنوية بشراء جلد قرطبي Cordebisos[121].

ومن الواضح أن القرطبي كان متيسراً في فرنسا الكرولنجية على الرغم من قلة الأدلة على التجارة وتدهورها في القرن العاشر.

وكان الجلد القرطبي مع مواد أخرى من الصادرات الأندلسية ربما فيها الـ Guadameci قد ظهرت مراراً في النصوص المسيحية باللغات المحلية

---

and C. Davillier, Notes sur les cuirs de Cordoue, Guadamaciles d'Espagne, etc = Paris 1878.

(118) Ibn Sahl, Aḥkam al - Kubra. General Library, ms. 838Q, fol. 138.

(119) Levillain, Examen critique, pp. 235-6 يذكر Pirenne هذه الهدية في مؤلفه كمثال على ازدهار التجارة المروفنجية Mohammed and Charlemagne. London, 1939, P. 90.

(120) Theodulfus, Versus contra iudices. ed. E. Dummler, MGH Poetae latini medii aevi 1.2, Berlin 1881, PP.500.

(121) Gesta abbatum fontanellensium. ed. G.H. Pertz, MGH Scriptores II, in folio, Hanover, 1829, P.300. هذا المرجع ملحق بالنص الرئيس. وغير مذكور في الطبعات الحديثة.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. فقد ضم الـ Cantar de mio cid على سبيل المثال مقاطع تبين هذه الجلود الأندلسية كمستوردات إلى قشتالة في القرن الحادي عشر. وعندما رحل الـ سِد Cid إلى الجنوب منفياً، طلب منه اليهوديان اللذان أقرضاه المال أن يجلب لهما «جلداً قرمزياً ومراكشياً وغنيمة أو جائزة كبيرة»[122]. وربما طلبا هذا أملاً بأن لا يدفعا ضريبة كتجار ينقلون هذه المواد من الجنوب بأنفسهم. فقد ذكرت وثائق البورتازجو من المدن القشتالية الأرجوانية بصورة دائمة المنتجات الجلدية بين المواد التي تفرض عليها الضرائب. وقد فرض الفيرو Fuero مدينة Sepulveda (1076) ضريبة Dinero دينار على اثني عشر جلداً قرطبياً نُقلت إلى المدينة ودينارين على الكمية نفسها من نوع الـ guadamecis[123]. وفي أواسط القرن التالي فرض فيورو مولينا Molina ضريبة Maravedi على كل قطعة جلد قرطبي أو Guadameci، بينما فرضت وثيقة من استلا Estella مؤرخة في 1164 دينارين Denariés عن كل اثني عشر Cordoanorum وGodmecinorum. وكذلك في سنة 1207 عثر على ضريبة من Morabedi (دينار مرابطي) على: Cuero de Godameci القادم من طليطلة[124]. وفي الزمن نفسه تقريباً، ذكرت لوائح التعرفة من نربون Narbonne ومرسيليا ومدن فرنسية جنوبية أخرى القرطبي بين البضائع الممكوسة، كما ذكر عدد من السجلات العدلية الطليانية بيوع هذا الجلد[125]. وذكر عقد من سافونا مؤرخ في سنة 1180، شحنة من ست

---

(122) Cantar de mio Cid, PP. 50-1.

(123) Los Fueros de Sepúlveda. ed E. Saez, Segovia, 1953, PP. 137 - 142.

(124) Fuero de Molina de Aragon. ed. M. Sancho Izquierdo, Madrid, 1916, PP. 66-7 هذه النسخة الثالثة عشرة من الأصل اللاتيني للرواية مؤرخة في Fuero de 1156 . 1152 Estella. ed. J.M. Lacarra AHDE 4 - 1927, P. 439; Hernandez, "Cortes de Toledo," P. 241.

(125) Narbonne 1153: G.Mouvnes, ed. Inventaire des archives communales. Ville de Narbonne. Narbonne 1871, P. 4; Marseille 1228: L. Méry and F. Guindon, eds, = Histoire analytique et chronologique des actes et des délibérations du corps et du

قطع قرطبي إلى جنوى بينما يعرفنا عقد جنوى مؤرخ في آب 1197 بإستلام عشر قطع من الجلد القرطبي، مقدرة بقيمة L 11.10d. وعرفتنا وثيقة جنوية من سنة 1213 بدين بقيمة L13.12d مقابل جلد Corduanum[126]. بينما يُشك في أن تكون المراجع العدلية أو التاريخية تتعلق أو تشير إلى جلد قرطبي إيبري أصلي، ويمكن افتراض أن شعبية الجلد القرطبي لم تهبط سواء أكان بالإنتاج في شبه الجزيرة أم بقيمته كصادر.

ولم يستخدم الجلد الأندلسي فقط لصنع الأحذية والثياب وتجهيز الفَرَس والمفروشات، فالجلود الذهبية والمزركشة قد صنعت من أجل تجليد الكتب. ونجد بين هذه المواد، الورق كبضاعة أندلسية مهمة. فقد ذكرت الكتب والورق من بين الصادرات الأندلسية مع أن تجارة الورق وثقت توثيقاً حسناً بعد ازدياد الطلب عليه. وكانت الكتب مطلوبة في أسواق محددة، وقد حذر أبو الفضل الدمشقي التجار الذين يستثمرون في «كتب

= conseil de la municipalité de Marseille depuis le Xe siecle jusqu'au nos jours. Marseille, 1841, I, PP.347-8؛ مراجع أخرى القرن الثالث عشر من بروفنسال B. Guérard, ed, Cartulaire de l'Abbaye de Saint- Victor de Marseilles. Paris, 1857, PP. LXXIII-C, LXXVI.

(126) Savona: Cumano, Cartulario di Arnaldo Cumano e Giovanni di Donato, Savona, 1178-1188. ed. L. Balletto, Rome, 1978, P. 336. Genoa, 1197: ASG Cart. 56, fol. r84v. 1213: Lanfranco, 1206 - 1226. eds. H.C. Krueger and R.L. Reynolds, Genoa, 1952, II, P. 59.

مراجع عدلية أخرى عن القرطبي Lanfranco, I, P. 396, 1210, II, PP. 147-8, 1216, II, P. 349, 1226; ASG Cart 5, IIor, 1213, 232r, 1216, ASG Cart 26/11, 88r, 1248; ASG Cart 29, 2r, r253, 15V, 1253. 1213, 232r. ASG Cart 26/11, 88r, 1248; ASG Cart 29, 2r, r253, 15V, 1253 وسجلت الوثائق العدلية في مرسيليا صفقات من القرطبي تؤرخ في 1248 . 33 L. Blancard, ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884- 5, I. 43, 47, 100; II, #14, 117, 129, 149, 788, 791, 796, 800-4.

الفلسفة [لأنها] لا تُشرى إلا من قبل الحكماء والعلماء، ومعظمهم فقراء وعددهم قليل»[127]. من جهة أخرى، استخدم الورق على نطاق واسع ليس في الكتب فحسب بل في آلاف الاستخدامات والمقاصد. ولعل محفوظات الجينيزا وغناها بالكتب والرسائل ووثائق العدلية وعقود الزواج ولوائح الملابس وقوائم الأسعار ومواد أخرى، ومعظمها كُتب على الورق، تبين بوضوح هذه النقطة.

وكان أفضل أنواع الورق الأندلسي المعروف مصنوعاً في مدينة ياتيفا Jativa ومن ثم دعي شتيبي Shatibi في المصادر العربية، ولكن مناطق أخرى أنتجت الورق الصقيل والناعم والصقيل الذي كان يتميز به الأندلس[128]. وكان الورق يصنع من الكتان والأسمال البالية، وكان من بين واجبات المحتسب التأكد من نظافة صناعة الورق. فقد نبه ابن عبدون مثلاً أن صناع الورق «يصقلون الورق قليلاً»، بينما نصح الجرسيفي Jarsifi أن الورق، يجب أن يكون ناعماً دون أسنان ونظيفاً ومصقولاً وموحد القياس[129]. وقد وصف

---

(127) Dimashqi, Kitāb al-'ashara, P.58.

(128) E.Lévi-Provençal, L'Espagne musulmane au Xème siècle. Paris, 1932, P.185; R.Arié, España musulmana, P. 250.

(129) Ibn 'Abdun, Risala, P.48; Jarsifi, Risala, Also in Documents arabes. ed. Lévi-Provençal, P. 124 هناك نقاش مهم حول ما إذا كان ورق الأندلس يحضر في معمل أو معصرة فإذا كان صحيحاً كما هو مستنتج أن أراجون استخدمت المعمل قبل 1193 فهذا أقدم مرجع عن هذه العملية. حول إنتاج الورق ومعالجته انظر: O. Valls i Subira, "El paper al al-Andalus i a la Corona d'arago. Second International Congress of Studies on Cultures of the Westem Mediterranean, Barcelona, 1978, PP. 441-8; and criticism of Valls by R.I. Burns, "The Paper Revolution in Europe: Crusader Valencia's Paper Industry," Pacific History Review 50 - 1981, PP. 1-30, and Society and Documentation in Crusader Valencia.Princeton, 1985, PP.151-5. وعلى مستوى عام G. Schaefer "The Development of Paper Making", Ciba Review 6, 1947-9, PP. 2641-49; and A.Y. Al-Hassan and D.R. Hill, Islamic Technology. Cambridge, 1986, PP. 190-6.

المقدسي صناع الورق في الأندلس في القرن العاشر، كما ذكر بيتر فينيرابل Peter the Venerable كتب اليهود المصنوعة من ورق الأسمال في مؤلفه Tractatus contra Jodaeos. وربما لاحظ بيتر هذا الورق خلال انتقاله في شبه الجزيرة في سنة 1412 قبل سنوات قليلة من كتابته مؤلفه[130]. حتى الوقت الحاضر، فإن تفوق الورق الأندلسي الوسيط يبقى واضحاً، ما دعا جوتين لملاحظة أن رسالة من غرناطة مؤرخة في 1130 وكتبت على أفضل الورق «حتى عند رؤيتي لها في جينيزا. فهي بيضاء بمعظمها، وقوية وناعمة وصافية»[131] ودون شك كان هذا الورق الأندلسي المصدّر مطلوباً بكثرة.

ولم يكتب التجار الجنزيون على الورق الأندلسي وعنه وعن تجارته وحسب، بل قدموه هدايا. فقد ذكرت رسائلهم كميات صغيرة من الورق الأندلسي مرسلة إلى الشركاء، مهيأة في دستات من ألواح الورق[132]. ونعلم من خلال مثال واحد من سنة 1125 أن يهودا هاليفي قد أرسل خمسمئة صحيفة أو لوح من ورق طليطلة إلى صديقه هلفون بن ناتانئيل في مصر. وكانت مقاييس الرزم ومحتوى غلاف رسالة هاليف قد دفعت جوتين إلى أن يستنتج أن هذه الشحنة تمثل مشروعاً تجارياً وليست هدية صداقة[133]. كما أن لوائح التعريفات تذكر المكوس المجموعة عن الورق المغربي والأندلسي

---

(130) Muqaddasi, Ahsan al-taqasim fi ma'rifat al-aqalim. ed. M.J. de Goeje, BGA, Leiden. 2nd edn, III, Leiden, 1967, P. 239, Peter the Venerable, Adversus iudeorum inveteratam duritiem. ed. Y. Friedman, Corpus Christianorum: Continuatio Medievalis, 58, Turnhout, 1985, P. 130.

(131) ULC Add. 3340. هذا مرجع إلى Goitein, Mediterrancan Society. V.P. 288.

(132) Goitein, Mediterranean Society, V, P. 457.

(133) ENA 40, Goitein, Letters, P. 20 and Mediterranean Society, V. P. 457, X, D, N. 187.

في مدن نهر إيبرو Ebro في أواخر القرن الثاني عشر، مبينة أن الورق كان ينقل من المناطق الإسلامية إلى المسيحية في ذلك الدور[134]. ومن المحتمل أيضاً، أن خطوطاً مماثلة لنقل الورق قد وثقت في جنوى سنة 1163 قادمة من الأندلس[135].

الأخشاب

اشتهر الأندلس بغابات الصنوبر وأخشابها وبخاصة تلك الموجودة في الساحل الشرقي في باليريك وفي الجرف .Algarve وكان خشب غابات الأندلس قد صُدر على نطاق واسع كأفضل بضاعة مهمة مقدمة من الأندلس إلى المناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط الإسلامي. وقد استخدم الخشب للبناء، وللطاقة والحصول على السَنْط أو الفحم الخشبي والمهن اليدوية، وفوق كل هذا كان يستخدم لبناء السفن.

وقد كتب الإدريسي سنة 1150 عن طرطوشة Tortosa: هناك أسواق، وبناء ومحترفات وصناعة لتعمير سفن كبيرة من خشب الهضاب [المحيطة]. هذا الخشب الصنوبري، لا نظير له، بطوله وبصلابته ويؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع [للمراكب]... خشب الصنوبر هذا لا نظير له في المعمورة لشهرته العالية وقساوته وطوله. وقد نقل إلى جميع بلدان العالم البعيدة والقريبة[136].

---

(134) Burns, "Paper Revolution", P.24.

(135) Giovanni Scriba, Historia patria monumenta VI; Chartae. Turin, 1853. II, P.900, #1345. كتب العدليون الجنويون عن الورق وسط القرن الثاني عشر.

(136) Idrisi, Opus, V.P.555, and Opus VII, Naples - Rome, 1977, P.734.

وقد انتجت منطقة جنوب طرطوشة، والجبال المحيطة بـ كيونكا Cuenca «كثيراً من أشجار الصنوبر [التحيلا] تقطع أخشابها وتلقى في ماء [نهر جوكار Jucar الذي] يحمله إلى دينيا وبلنسيا إلى البحر». وبما أن نهر جوكار يجري حالياً في موضع إلى الجنوب من بلنسيا، فقد أحس الإدريسي بالحاجة إلى التفسير، بأن الخشب كان يُحمل في مصب النهر «على المراكب ويؤخذ إلى دينيا (دانية) حيث يستعمل لبناء مراكب كبيرة وصغيرة»[137].

وكانت سلفس Silves في جنوب غرب الأندلس، مطوقة بالغابات وتنتج «كميات كبيرة من الخشب الذي يصدر في جميع الاتجاهات»، و «جميع البلاد من حول [الكَسرْ/ القصر دو سَل Alca cer do Sal] مغطاة بأشجار الصنوبر، الذي يصنعون منه سفناً كثيرة»[138].

وكان قليل من مناطق البحر الأبيض المتوسط القادرة على تقديم مرتكز من الغابات ومن هذا النوع، كما أن ندرة الخشب تعطي المنطقة إمكانية «السيطرة على طرق التجارة»[139] حتى عندما كان المناخ مناسباً لنمو الغابات، فإن أشجار المتوسط ضعيفة بسبب شروط الجفاف التي تبطئ نموها، وكثير من مناطق البحر الأبيض المتوسط وبخاصة المناطق الإسلامية كانت فقيرة بالغابات أصلاً، أو أنها اقتطعت قبل العصور الوسطى. ولم يكن هناك سوى بعض الهضاب الرطبة في الأندلس ومراكش وشمال سورية ولبنان وكريت وصقلية قادرة على إنتاج الخشب لأحواض بناء السفن

---

(137) Idrisi, Opus, V.P.560.

(138) Idrisi, Opus, V.P.543.

(139) T. Glick, Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages. Princeton, 1979. P.107.

الإسلامية وغير ذلك من المشاغل[140]. وقد نقل الخشب الأندلسي إلى الخارج على هيئة رزم أو قطع معدة للصناعة، ولكن كان يُصدّر مراكب جاهزة الصنع كما ورد في رسالة من جينيزا مكتوبة في تونس في سنة 1040 وفيها أن «المراكب الأندلسية الجديدة.. قد اشتراها التجار وحُملت» كي تذهب إلى مصر[141]. وكما سنعرض في الفصل القادم، فإن ندرة خشب البحر الأبيض المتوسط، وضرورته لبناء المراكب جعل غابات المنطقة من أهداف الفتح الاستراتيجية. ولقد ساعد احتلال المسيحيين لمصادر خشب إيبريا في القرن الحادي عشر والثالث عشر على قلب توازن قوى الأساطيل البحرية في المتوسط. كما أن السلع الأندلسية الموزعة في أسواق الأندلس ربما اعتبرت، إلى حد ما، كصادرات أندلسية. إن واقع المواد الثلاث المدروسة هنا وهي، الفراء والذهب والفضة لم تكن من إسبانيا المسلمة أصلاً، فقد كان لتجار شبه الجزيرة دور مهم في تيسير هذه البضائع للبيع في أماكن أخرى. وقد كانت تجارة المرور أكثر عرضة للتقلبات السياسية والحربية من بضائع الإنتاج المحلي. كان نقل الفراء والذهب والفضة مربحاً، ولكن التجارة بها تبدو أقل ثباتاً خلال الزمن

---

(140) حول غابات المتوسط وتجارة الخشب انظر R. Meiggs, Trees and Timber in the Ancient Mediterranean World. Oxford, 1982; C. Higounet, "Les Forets de L'Europe occidentale du Ve au Xle Siecles", Settimane di studio del Centro italiano di studi sull' alto medioevo. XIII Spoleto, 1966, PP. 343-98; M. Lombard, "Un probleme de cartographié: le bois dans la Méditerranée musulmane (VIIe-Xle siecles)", Annales: ESC, 14, 1959, PP.234-54; هذا المقال مهم وبصورة خاصة خرائطه M. Lombard, "Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane, (VIIE- XLE Siècle)", Le navire et l'économie du moyen âge au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée. ed. M. Mollat, Paris, 1958, PP. 53-106.

(141) Bodl a 2. 17.

مقارنة مع تجارة التين والنسيج وزيت الزيتون أو غير ذلك من الصادرات الأندلسية الاعتيادية.

الفـراء

كان الفراء الممتاز يأتي إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى من الأندلس وشمال أوروبا وإسكندينافيا وروسيا وآسيا الوسطى. وكان الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الثالث مثلاً، يمتلك جلود حيوان السَّمُور الأسود المستورد من خراسان[142]. ولكن الجغرافيون العرب قد ضمّنوا في مراجعهم الإشارة إلى الفراء الإسباني المسلم، وقد عزا ليفي بروفانسيال هذا الأمر إلى أن شبه الجزيرة الإيبرية غنية به أكثر من بقية المناطق في العالم الإسلامي[143]. وذكر الإصطخري والمقدسي وفي «حدود العالم» أن جلود السمور قد صُدرت من الأندلس في القرن العاشر، وكتب الخُرداذبْهْ عن فراء حيوان السَنْسَار أو (دَلَقْ) وفراء آخر كان ينقل من الغرب إلى الشرق[144]. وسواء أكان هذا الفراء من حيوان محلي إيبري، أم كما يبدو محتملاً، في حالة السمور الذي كان يستورد إلى الأندلس من الشمال الأبعد، فقد كان يصدر إلى المناطق الإسلامية الأخرى. وقد سبق أن حاول المسعودي في القرن العاشر أن يبين هذا الأمر شارحاً أن فراء شمال أوروبا

---

(142) Maqqari, Analectes, I, 230. حول تجارة الفراء في العصر الوسيط الباكرن P.H. Sawyer, "Kings and Merchants", In Early Medieval Kingship. eds. P.H. Sawyer and I.N. Wood, Leeds 1977, P. 149.

(143) Lévi-Provençal, L'Espagne musulmane au Xème siècle, P.184.

(144) Istakhri. Masalik, P.45, Muqaddasi, Aḥsan al-taqasim, P. 50; Hudud al-alam, P.520-3.

ويرد في هذه الدراسة جلود السِخليَّة (أو العظاية) كصادرة أندلسية.

P. 155; Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik, P. 153.

تأتي «إلى المغرب [من الشمال]، وهذا ما يدعو للاعتقاد أنها كانت تأتي من الأندلس وتخوم الفرنج والسلاف»[145].

ويبدو أن دور الأندلس كمنطقة عبور لفراء الشمال قد تقلص في العصر الوسيط المبكر، ومن ثم تختفي الإشارات إلى هذه التجارة بعد القرن العاشر، وربما انحسرت الاتصالات مع مناطق إنتاج الفراء في شمال أوروبا بعد العهد الأموي والكارولنجي. وبدل تجارة المرور هذه، بدأ الأندلس بتصدير الفراء المحلي وبخاصة جلود أو فرو الأرانب. وقد كتب المقري عن هذه التجارة يصف «حيواناً أصغر من الأرنب» (لعله الأرنب البري أو خُزَزْ ودعي قنياليا Qunaliya (من أصل إيطالي Coniglio) وكان «فروه يلبس ويستعمل من قبل الأندلسيين المسلمين والمسيحيين، ولا يوجد مثله في بلاد البربر عدا ما كان يصدر من الأندلس إلى سبتا»[146]. وعلى الرغم من أن المقري كان قد كتب في آخر هذا الدور، فإن المصادر تُبين أن حركة تجارة جلود الأرانب قد سبق وكانت قائمة سنة 1100. وقد ذكر الزهري أن جلود الأرانب (جلود القنليات) قد أرسلت من الأندلس إلى الديلم (جنوب بحر قزوين) في أواخر القرن الثاني عشر، كما أشارت المصادر اللاتينية المعاصرة إلى تصديرها إلى بلاد المسيحيين. ومثال ذلك، أن فيورد سنتوسلاس Centocellas المؤرخة في 1194 فرضت مكساً من خمس سوليدي Solidi على مسيحي [ينقل] شحنة من جلود الأرانب، و"مرابطي» واحد وعلى مسلم يحمل الشحنة ذاتها[147]. وذكرت لوائح التعرفة القشتالية الأخرى من

(145) Masudi, Kitāb al- tanbih wa al-ishraf, ed. M.J. de Goeje. BGA 2nd edn, VIII, Leiden, 1967, P.63.

(146) Maqqari, Analectes, I,P. 122, 1949 edition, I. . 184.

(147) L.Garcia de Valdeavellano, El mercado en Leon y Castilla durante la edad media. 2nd edn, Seville, 1975, P. 162.

فترة 1166 ـ 1200 ذكرت رسوماً مماثلة[148]. وقد أخذت جلود أرانب الأندلس طريقها بعيداً كما تبين العقود التي تسجل Cuniailorum de Spania في جنوى سنة 1206[149].

الذهب

لقد أصبحت موانئ الأندلس وغرب المغرب مركزاً لانتشار الذهب في مناطق البحر الأبيض المتوسط الأخرى وبخاصة أوروبا خلال القرن الحادي عشر.

وكان معظم الذهب يأتي إلى الأندلس على شكل رمل أو سبائك من غرب السودان عن طريق شمال أفريقيا. وما أن يصل الذهب إلى إسبانيا المسلمة حتى يعالج في المسابك الأندلسية، ويمكن تتبع حركته فيما بعد مادياً وكتابياً.

ولقد اختلف العلماء حول أصول الذهب المتاجر به بين السودان وعالم البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من أن أسواق الأندلس لم تدخل في الصورة قبل أواسط العصور الوسطى، فإن معظم المصادر توحي بأن الذهب السوداني قد استقر جيداً في غضون القرن السادس. وبالفعل فإن ملامح ازدياد المرور على طريق الذهب المغربي كانت هي الباعث على توسع العرب نحو الغرب في القرن التالي[150]. وقد ذكر كثير من كتاب العصور

---

(148) M.Gual Camarena, "Tarifas hispano- lusas de portazgo, peaje, lezda, y hospedaje, siglos XI y XII", Anuario de estudios medievales 9, 1974-9. PP. 370-1.

(149) Giovanni de Guiberto, eds. M.Hall, H.C. Kruéger, R.L. Reynolds, Turin, 1940, II, p.389.

(150) T.F. Garrard. "Myth and, Metrology: The Early Trans-Saharan Gold Trade", Journal of African History 23, 1982, P. 450.

يبدو هذا الحافز أقل احتمالاً إذا قبلنا نظرية Lombard المتعلقة بإطلاق المدخرات=

الوسطى حركة انتقال الذهب السوداني. وتتضمن جميع الأعمال الجغرافية العربية مقاطع تذكر مملكة غانا (وهي السنغال ومالي وبوركينا وفاسو ونيجيريا) مصدراً للذهب[151] وكان الذهب المستخلص هنا خالصاً جداً ونسبته، 92٪، وكان إنتاجه كبيراً[152]. وفي كتاب الهمداني «الجوهرتين» عن المعادن والجواهر في القرن العاشر أعلن أن «أفضل مناجم إنتاج الذهب في العالم هي مناجم غانا في بلاد المغرب»[153].

= الذهبية في السوق بعد الفتوح العربية مما كوم ثروة ذهبية مولت الاقتصاد الإسلامي في البداية أنظر Lombard, Les Métaux dans L'ancien monde du Ve au XIe Siècle. Paris, 1974, PP. 195-201. ومقابل الذهب، كان الملح أول سلعة أتجر بها جنوباً من البحر الأبيض المتوسط إلى غرب إفريقيا. وحول تبادل الملح انظر

M.Malowist, "Quelques observations sur le commerce de l'or dans le Soudan occidental au moyen âge", Annales: ESC, 5-6, 1970, P.1636; J. Devisse, "La question d'Awdaghust", Tegdaoust I; Recherches sur Aoudaghost. Paris, 1970, P.141, J.Devisse, "Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée: Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au XVIe Siècle", Revue d'histoire économique et sociale 50, 1972, P.51.

(151) وقد قدمت اقتراحاً لضم شرق أفريقيا إلى التعبير العام «السودان». وقد عَلل M.Horton أن نقاء الدنانير الفاطمية (96 بالمئة) يقود إلى استنتاج أن الذهب لم يستخرج من غرب أفريقيا بل من ساحل المحيط الهندي Horton, "The Swahili Corridor", Scientific American. Sept. 1987, P. 86. وقد أرجع آخرون تلك النقاوة إلى التنقية والسبك.

(152) لقد سمح النقاء الطبيعي لذهب السودان بسكه بقليل أو دون تنقية، ولكن الذهب المنقّى من المصادر الأخرى أمكن له إنتاج عملة بنقاوة عالية انموذجية (أعلى من 99 بالمئة). وعلى الرغم من شهرة الذهب السوداني العالية A.Ehrenkreutz فقد أنتج نقوداً أقل نوعاً. وقد أجريت تحاليل على النقود الأندلسية والمغربية من قبل لقياس الكثافة الخاصة بأنواع النقود انظر مقاله: "Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages", JESHO, 6, 1963, PP. 243-77, and R.A. Messier, واستخدم النترون المشع لقياس الاشعاعات للعناصر الافرادية في النقود: "The Almoravids: West African Gold and the Gold Currency of the Mediterranean Basin", JESHO 17, 1974, PP. 31 - 47.

(153) D.M. Dunlop, "Sources of Gold and Silver in Islam according to al-Hamdani," Studia Islamica 8,1957, p. 39. Other Arab authors mentioning Sudanese gold include Yaqut, Bakri, Ibn Ḥawqal, Masudi, et al.

وقد وصف الإدريسي خلال القرن الثاني عشر تركيب تجارة الذهب السوداني في آخر محطاته من الشمال الأفريقي حيث «أن معظم الذهب المباع من قبل سكان أورغلا Ouargla ومقاربة الغرب يسلم إلى بيوت السك في بلادهم حيث يضرب ديناراً ويقايض بالبضائع»[154]. ولكن لم يُضرب جميع الذهب مباشرة كما نرى ذلك في رسالة من جينيزا معاصرة تقريباً حيث يذكر الكاتب أن شريكا قد أرسل له «سبيكة ذهب من فاس.. [مع تعليمات] لبيع الذهب في الماريا»[155]. وقد ذكرت رسائل الجينيزا مراراً مبالغ من الذهب التي أرسلت من الغرب إلى الشرق مقابل سلع شرقية تشحن إلى الغرب. وعندما يذكر أن كيساً ـ أو محفظة ـ يحوي مبلغاً محدداً فهذا يعني أن المال قد أرسل نقداً[156]. من جهة أخرى، إن عادة إرسال النقود في أكياس مختومة، ومُعلَّمة طبقاً للوزن أكثر من عدد النقود التي تحويها، يدل على أن وزن المعدن، كان أكثر أهمية من القيمة الشكلية.

إن تجارة العبور، والسيطرة على الطرق الواصلة بين موانئ شمال أفريقيا مع حقول الذهب في الجنوب، كانت بيد السماسرة البربر بصورة عامة. ولم تحدث صفقات تجارية مباشرة بين السودان وتجار البحر الأبيض المتوسط حتى أواخر العصور الوسطى. وكان الذهب ينقل شمالاً من خلال عدة طرق مختلفة: أولها من أورغلا إلى القيروان ثم إلى المشرق. بينما يذهب طريق الغرب من خلال أوداغوست Awdaghost إلى سجلمازا إلى طهرة Tahert وتلمسان ثم إلى الأندلس. وهناك طريق ثالث أكثر تطرفاً إلى

---

(154) Idrisi, Opus, I, Naples-Rome, 1970, pp. 24-5.

(155) Bodl d66.52; trans. Goitein, Letters, p. 50.

(156) (Letters. p. 83) حدد جوتين هذا خارجاً مع إشارة إلى TS 8.12 المكتوبة من تونس إلى مصر ولكن الممارسة كانت منتشرة.

الغرب، يأتي من أغمات Aghmat وينتهي في فاس، وكان قد تطور في القرن الحادي عشر[157]. إن أكياس الذهب المذكورة أعلاه، والتي أتجر بها من فاس إلى الأندلس من قبل التجار اليهود في حوالي 1110، قد انتقلت شمالاً من خلال الطريق الأخير غالباً.

وباعتبار أن الطرق الثلاثة، كانت تحت سيطرة قبائل مختلفة وأزمان مختلفة، فقد كان وصول الذهب إلى البحر الأبيض المتوسط تابعاً لتبدل شبكة التحالف بين قبائل البربر ودول الشمال. ومن ثم، فليس مفاجئاً إيجاد طريق غربي جديد يحول مجرى الذهب نحو غرب المغرب وإسبانيا المسلمة في عهد المرابطين والموحدين، عندما حكمت هاتان السلالتان المتتاليتان معظم بلاد الغرب الإسلامي. وخلال سيطرة المرابطين والموحدين على طرق تجارة ذهب شمال أفريقيا وصل المزيد منه إلى أسواق الأندلس وبيوت السك. وقد ميز ابن رشد بين «الذهب المرابطي» و"الذهب المشرقي» مشيراً إلى توافر النوعين في شبه الجزيرة[158]. وهناك المزيد من البراهين الملفتة للنظر حول أهمية الذهب السوداني في الأندلس خلال عهد المرابطين تأتي من خلال تأثير لا سابقة له للدينار المرابطي Murabitun. وعلى الرغم من أن حكام الأندلس قد سكوا العملة الذهبية منذ النصف الأول من القرن العاشر، فقد سرى تقليد عملة المرابطية في الغرب الإسلامي والمسيحي الإسباني وجنوب أوروبا. وقدّر لهذه العملة المرابطية أن تصبح واحدة من أهم العملات المستعملة والمقلدة في غرب المتوسط في العصر الوسيط.

---

(157) Both M. Brett, "Ifriqiya as a Marker for Saharan Trade from the 10th to the 12th C. AD," Journal of African History 10,1969, p. 350 and T. Lèwicki, "L'etat nordafricain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental a la fin du VIIIe et au IXe siècle." Cahiers d'ètudes africaines 8,1962, p. 519 حيث يقدم خرائط لهذه الطرق.

(158) Ibn Rushd, Fatawa Ibn Rushd. ed. al-Talili, Beirut, 1407/1987, p. 571.

وكانت الدنانير المرابطية في المغرب منذ 1068. وتلك التي عرفت في الأندلس أولاً قد ضُربت في إشبيلية (عاصمة المرابطين) في سنة 1096. وأقيم عدد آخر من بيوت الضرب الأندلسية، وكثير منها في مدن الجهة الشرقية ولعل ذلك كان جواباً على زيادة الاتصالات التجارية الإيطالية مع الماريا ودانيا وبلنسيا[159]. إن العدد الكبير نسبياً من دور الضرب المرابطية، وخاصة مقابل ما كان يوجد تحت حكم الموحديين، يوحي بالكمية الكبيرة للنقود المضروبة، ولكن الدنانير الأندلسية المرابطية تميل إلى أن تكون أقل وزناً (4,50غ أو أقل) وأقل نقاوة أنموذجية (5.91 بالمئة) من النقود المعاصرة في أماكن أخرى[160]. وبما أن أنموذج كثير من النقود المرابطية كان متطابقاً مع نوع الذهب السوداني (ومن أجل سبعين مرابطياً أندلسياً فُحص من قبل ميسير Messier كان النصف على الأقل يحتوي على نسبة النحاس نفسها الموجود في الذهب السوداني)، فقد استخرج المرابطون كميات كبيرة من ذهب نقودهم من غرب أفريقيا على ما يبدو[161].

---

(159) قدر Devisse أن 57 بالمائة من الدنانير الأندلسية المرابطية ضُربت بين 1097 و 1136 في شرق الأندلس. وقد أكد أنه في السنوات الأولى من حكم المرابطين للأندلس، تركزت جهود السلالة على النُميّات أو فن المسكوكات والمعادن في شبه الجزيرة: فقد كان 63 بالمئة من النقود الذهبية الموجودة قد ضربت بين 1097 . 1106 في دور السك الأندلسية، و 60 بالمئة من الفترة بين 1107 و 1126. حيث تقلص إنتاج السك الأندلسي بعد هذا التاريخ سواء بالعدد أو الكمية. وضربت النقود الأندلسية بعد ذلك في أربع دور، مَثلت 30 بالمائة من ثروة المرابطين المعروفة، ومع ذلك فإن الإنتاج قد ازداد خلال هذه السنوات:

Devisse, "Routes de commerce," pp. 65-6.

(160) R.A. Messier, "Muslim Exploitation of West African Gold during the Period of the Fatimid Caliphate," Ph.D. Dissertation, University of Michigan, 1972, pp. 107-9.

يتنوع سك الذهب الإفرادي المرابطي من حيث نسبة نقائه بين 2.76 بالمائة و 2.96 بالمائة مم يتطلب مراقبة عملية السك للحفاظ على حد أدنى من الأنموذجي.

(161) Merrier, "Muslim Exploitation," pp. 117-18.

تم فحص ربع كمية هذه النقود فكانت عالية النقاوة مما دفع Messier للتسليم بإستعمال مناجم ايبريا كمصدر ثانوي لذهب النقد المرابطي.

وعلى الرغم من النسبة المنخفضة للذهب المرابطي (أو لأنه كان كذلك) فقد حقق الدينار المرابطي انتشاراً واسعاً. وكما هي العادة، فإن النقود ذات المواصفات المتدنية تحاول استبعاد النقود ذات المواصفات العالية من السوق، ولكن هذا ليس كافياً لتسويغ شهرة النقد المرابطي. بالتأكيد إنها قد ضربت بأعداد كبيرة ومن الممكن أن المرابطين قد دعموا استخدام عملتهم في إمبراطوريتهم. ومن المحتمل أيضاً أن عملة المرابطين قد وصلت إلى عالم البحر الأبيض المتوسط تماماً في لحظة بدء مصالح «الثورة التجارية» في أوروبا، عندما أصبح الحكام والتجار الأوروبيون أكثر توقاً وتلهفاً للذهب من أي وقت مضى. وبدأت الدلائل على نقد المرابطين بالظهور في الوثائق الإيطالية في وسط القرن الحادي عشر، مشيرة إلى الاعتياد الشائع على هذه العملة سواء أوصلت الأمثلة الحقيقية إلى أسواق إيطاليا أم لا. وتحت نفوذ هذا Pax Morabetina قد تستقر الطرق المباشرة بين أوروبا والمغرب. وقدمت أسواق الأندلس مرتكزاً مناسباً لتوزيع الدينار المرابطي الأندلسي الشعبي[162]. وقريباً، وكما سبق وأشرت في الفصل الثاني ان الأسواق الإسبانية المسيحية لم تستخدم النقد المرابطي المحلي وحسب، بل بدأ الحكام المسيحيون بضرب عملتهم المقلدة (وربما باعادة استخدام الذهب بعد إذابة النقد الأصلي).

الرقيق

كان الرقيق ثالث سلعة رئيسة توزع في أسواق الأندلس، فمنذ القرن التاسع كان التجار المسلمون واليهود ينقلون الرقيق إلى الأندلس من شرق

(162) هذا التعبير من pax morabetina D. Abulafia, "Asia, and the Trade of Medieval Europe," Cambridge Economic History of Europe. 2nd edn, Cambridge, 1987, p. 467.

أوروبا وإسبانيا المسيحية، ومن ثم يعيدون تصديره إلى المناطق الإسلامية الأخرى. وقد أشار ابن الخُرداذبُهْ إلى أن التجار الراذانيين قد باعوا بنات رقيقات أندلسيات وذكر معاصره ابن الفقيه بنات رقيقات من بين صادرات إلى المغرب[163]. ولعل هؤلاء النسوة كن من مواليد شمال شبه الجزيرة كالحالة التي سجلت من قبل القاضي ابن سعيد في القرن التاسع، حيث باع لتجار يهود عدداً من النساء الغاليات Galician في مريدا Merida[164]. وكان يوجد رقيق ذكور من الموسيقيين الباسك في بلاط عبد الرحمن الثاني 822 ـ 852، نقلوا إلى الأندلس من شمال إسبانيا[165].

وقد كتب الأسقف أجوبارد صاحب ليون Lyons نحو سنة 826 تقريباً حول شابين خُطفا من آرل وليون من قبل تاجر رقيق يهودي، وأن واحداً منهما على الأقل أُرسل رقيقاً إلى قرطبة. وقد تابع أجوبارد ادعاءاته بأن هذه الشواهد عن تجارة الرقيق اليهودية كانت مألوفة، وكرر أنه «ليس مسموحاً لليهود أن يبيعوا مسيحيين إلى إسبانيا». وبصورة خاصة منذ أن راح اليهود «يفعلون أشياء مروعة»[166] إن موضوع شكوى أجوربارد يصعب الفصل في صحة معلوماته. فمن المهم أنه الوحيد بين كتاب القرن التاسع الذين اعترضوا على أسر المسيحيين في المملكة الكارولنجية. وتشير مصادر معاصرة أخرى إلى يهود عملوا تجاراً للرقيق في فرنسا، ولكن هذا لا

---

(163) Ibn Khurradadhbih, Kitāb al-masalik, pp. 153-5; Ibn al-Faqih, Kitāb al-buldan. ed M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn., v, Leiden, 1967, p. 252.

(164) J. Ribera y Tarrago, Disertaciones y opusculos. Madrid, 1928, I, pp. 24-5.

(165) J. Vernet, "El Valle del Ebro como nexo entre orient y occidente," BRABLB 23,1950, p. 258.

(166) Agobard, Epistolae. ed. E. Dummler, MGH, Epistolae v, Berlin, 1899, pp. 183, 185.

بعض القراء اتخذ من هذا الفعل المروع ليعنوا به الإخصاء، ولكن من المحتمل أن التجار اليهود كانوا يستعملون ختان أو تطهير العبيد وليس إخصاءهم.

يوحي أن هؤلاء التجار يستعبدون مسيحيين محليين[167]. ولأن أجورباردكان هو نفسه موزاراب فلربما تحسس من وجود عبودية مسيحية في الأندلس. ولعل شكواه تعكس ظاهرة ايبرية هي أن استعباد الباسك والغاليين كان متمركزاً في فرنسا[168].

ولكن هناك معلومات من القرن العاشر، تضفي مزيداً من الصدق على توكيدات أجورباردد. فقد ذكر ابن حوقل (كتب سنة 970) أن «بين معظم الصادرات الشهيرة [من الأندلس إلى البلاد الإسلامية الأخرى] عبيداً جميلين، ذكوراً وإناثاً من مناطق فرنجا وغاليا»[169] وطبقاً للاصطخري فالعبيد البيض والعبدات الغاليات «يأتون من الأندلس إلى البلاد الأخرى من دار الإسلام، ولكنه كان مبالغاً في أسعارهم عندما أضاف أن العبدة أو العبد صاحب المظهر الجميل قد يصل سعره إلى ألف دينار وأكثر حتى لو لم يكن ماهراً[1]. وقد وصف ليوتيبراند صاحب كريمونا تجارة الخصيان بين فردن وإسبانيا المسلمة في العصر نفسه، مؤكداً الهيكل العام للتجارة عبر مخازن الأندلس[170].

---

(167) منحت براءة (814–840) Louis Pious يهودياً إيبرياً هو إبراهيم زاركوزا سمحت له بنقل الرقيق الأجنبي *(mancipia peregrina)* في مملكته.

وهناك وثيقة أخرى تتعلق بيهوديين هما دافيد وجوزيف من Lyons وتؤرخ في 825، سمحت بحقوق مماثلة في تجارة الرقيق الأجنبي:

Formulae merowingici et karolini aevi. ed. C. Zeumer, MGH Leges v, in quarto, Hanover, 1886, p. 325, #52; p. 310, #31.

وفي الوقت ذاته يذكر مصدر راباني وصول يهود ينقلون معهم «عبيداً وشباناً مخصيين».

S. Assaf, Gaonic Responsa from Geniza mss. 1928, p. 38-9.

(168) أقدم شكري إلى David Nirenbery من أجل أفكاره حول هذا الموضوع.

(169) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 110.

بالعربية ربما طابق Galicia ذلك على مجهول من شمال غرب شبه الجزيرة وكذلك فعل:

Leon, Galicia, Asturias, Portugal.

(170) Istakri, Masalik, p. 45.

(171) Liutprand, Antapodosis. in Opera, ed.J.Becker, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915, p. 156. =

وقد ذكر ابن حوقل أنماطاً أخرى من العبيد الصقالبة (التي تترجم عامة بالسلاف المخصيين)، الذين جاؤوا إلى أسواق الأندلس لنقلهم إلى الخارج وطبقاً لما ذكر «فإن كل صقلبي على الأرض يجيء الأندلس، لأنهم يخصون في ذلك البلد، وتتم العملية من قبل التجار اليهود»[171]. وقد كتب المقدسي في الزمن نفسه تقريباً مقدماً معلومات مماثلة تؤكد أن

= لا توجد مصادر عربية تذكر أن فردن Verdun مصدر للخصيان الوافدين إلى الأندلس. وقد أخذ بعض العلماء هذه المعلومات كتأكيد لرواية أجوبارد الأولى، ولكن يبدو من غير المحتمل أن هؤلاء الخصيان من أصل محلي أو مسيحيين. حيث أن مثل هذه العوامل قد ذكرها Liutprand وهناك خلاف حول إمكانية جلب الخصيان من فردن إلى الأندلس. وقد اختار A. Lewis طريقاً برية في حين اقترح C. Verlimden طريقاً بحرية من أرلس ن:

Lewis, Naval Power and Trade. Princeton, 1951, p. 180; Verlinden, L'esclavage dans l'Europe medievale. Bruges, 1955, 1, p. 223-4.

ومن أجل تجارة الرقيق المبكرة و فردن انظر:

Verlinden, "Les Radaniya et Verdun," Estudios en homenaje a D. Claudio Sanchez Albornoz. Buenos Aires, 1983, II, pp. 105-32.

Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 110. The saqaliba. (172)

كان الصقالبة أفضل السكان المعروفين في الأندلس وكانت هويتهم مثار نقاش، وعلى الرغم من أن كثيراً من العلماء قد افترضوا أن هذا التعبير نوعي أو جنسي، وقد رأى D. Ayalons أن الصقالبة كانوا سلافاً نقلوا إلى إسبانيا المسلمة وإلى المشرق الإسلامي انظر:

D. Ayalon, "On the Eunuchs in Islam," Jerusalem Studies in Arabic and Islam. Jerusalem, 1979, I, pp. 67-124.

إن الصلة بين الصقالبة والسلاف (هي أدبية ربما من esclave إلخ..) وقد قبل بهذا معظم العلماء المعاصرين انظر:

Verlinden, "L'origine de sclavus-esclave," Bulletin Du Cange: Archivum latinitatis medii aevi 17,1942, pp. 97-128; and R. Kahane and H. Kahane, "Notes on the linguistie history of Sclavus," Studi in onore di Ettore Lo Gatto e Giovanni Maver. Rome, 1962, pp. 345-60.

وحول العبيد أو الرقيق خلال القرن العاشر انظر:

Verlinden, "La traite des esclaves. Un grand commerce international au Xe siecle," Etudes de civilisation medievale. Melanges offerts a E.R. Labande. Poiters, 1974, pp. 721-30; and A.M. 'Abbadi, Los esclavos en España. Al-Saqaliba fi Isbaniya. Madrid, 1953. من أجل الخرائط عن نقل العبيد انظر: Lombard, The Golden Age, p. 197.

اليهود في «مدينة وراء بتشينا Pechina» تحضر الصقالبة لإرسالهم من الأندلس إلى مصر[172]. من جهة أخرى لم يكن كل أسير من الشمال يباع من اليهود إذ إن مؤلفاً مسلماً من القرن الحادي عشر ذكر أن المسلمين واليهود يتاجرون بالرقيق في البلاد على طول ثغور الأندلس ويخصون الرقيق لتصديرهم للخارج[173].

وقد أشار المؤرخون إلى وجود آلاف العبيد السلاف في البلاط الأموي في القرنين التاسع والعاشر، عندما اشتدّ التوتر على الحدود الشرقية للإمبراطورية الكارولنجية حينها تدفق الصقالبة إلى أوروبا وإسبانيا المسلمة[174]. ولعل شهرة الصقالبة الكبيرة في الأندلس والأماكن الأخرى من العالم الإسلامي قد تأسست على واقع الأصول البعيدة لهؤلاء العبيد ما دفعهم للإخلاص في واجباتهم المنزلية والحربية. وبالعكس فقد اختفت المراجع عن العبيد السلاف بصورة حقيقية في القرن الحادي عشر. ففي هذا الدور تحرّر كثير من العبيد السابقين ووصلوا إلى النخبة الحاكمة في دول الطوائف، وهناك تفسيرات كثيرة لهذا التبدل. فربما يعود انحسار استعباد الصقالبة في القرن الحادي عشر إلى توسع أوروبا نحو الشرق وازدياد عدد الداخلين في المسيحية في بلاد السلاف أو بسبب انهيار الدولة الأموية المركزية، التي استخدم فيها الحكام آلاف الصقالبة، ما خفف الطلب على

---

(173) Muqaddasi, Description, pp. 242-3.

(174) Maqqari, Analectes, I, p. 92.

ينسب المقري هذه المعلومات إلى ابراهيم بن القاسم القروي (أو القيرواني) المتوفى في 1026 ن:

C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur. Supplement I, Leiden, -42, p. 252.

(175) ذكر Lévi-Provençal أرقاماً بين 3,750 إلى 13,750 صقلبياً في قرطبة في القرن العاشر ن (Histoire, II.p. 26). وقد أخذت هذه المعلومات من أكثر من مؤلف متأخر، ابن عُذاري (توفي 1320).

حاشية ضخمة من السلاف العبيد. وفي الوقت نفسه بدأ حكام المشرق المسلمون يتحولون إلى مصادر للعبيد من خلال حدودهم الشرقية والشمالية. وأخيراً وضع بريت Brett في المقدمة إمكانية أن وصول المرابطين والموحدين قد خلق أسواقاً جديدة من أجل قنوات جديدة للوصول إلى رقيق أسود في الأندلس وشمال أفريقيا، معوضين عن الطلب على البيض[175].

وقد تابعت الأسواق الإسبانية المسلمة والتجار التعامل بتجارة الرقيق خلال القرن الثاني عشر، عندما وصل العبيد إلى أسواق الأندلس بكثرة من الأراضي المسيحية في الشمال الإسباني، حيث الحرب والغزوات الحدودية قدمت مورداً ثابتاً للأسر. ونظراً للتنوع العرقي بين سكان الأندلس فقد يؤدي هذا إلى بعض الارتباكات أو الفوضى كما هو مبين في رواية مضحكة للقاضي السقطي في القرن الثالث عشر. يروي السقطي كيف أن مشترياً من خارج المدينة وصل إلى قرطبة واشترى أمة مسيحية، حيث تأكد له أنها أخذت تواً من المناطق الحدودية. والبرهان على ذلك أنها لم تكن تتكلم سوى لغة شمالية، ذلك لأنها نقلت توا من هناك، فدفع مقابلها سعراً باهظاً، وبعد ذلك اشترى لها ثياباً جميلة وأحضرها لأصحابه إلى المنزل. وبعد ذلك، يتكشف أنها تتكلم العربية بطلاقة، وأنها امرأة مسلمة حرة، وهددته بأن تذهب إلى القاضي إلا إذا فعل ما تأمره به «إذا كنت تخاف [فقدان] مالِك» ونصحته قائلة: «خذني إلى الماريا حيث يمكن أن تربح زيادة على ما دفعته أصلاً [لأن] الماريا هي محطة للمراكب ومركز للتجار والرحالة». إن الورطة هنا، أنه كان على التجار الأجانب أن يدفعوا سعراً باهظاً لشراء رقيق لتصديره إلى البلاد الأخرى من العالم الإسلامي وعندما حاول المشتري

(176) M. Brett, 'Ifriqiya as Market for Saharan Trade, p. 360.

المغفل أن يشتكي على البائع الأصلي، ادعى هذا الأخير أنه ترك العمل. وعندما وجد نفسه واقعاً في الشرك أذعن إلى نصيحة الأمة، تاركاً لها الاحتفاظ بالملابس ومصطحباً إياها إلى الماريا حيث باعها بربح، ومن المفترض أنه يترك لها بعض المال[176].

وطالما بقي المشترون عرضة للابتزاز، فإن خدعة من هذا النوع قد تتكرّر حتى تتوقف من قبل مراقب السوق، أو تصبح المنطقة بأيدي المسيحيين. والواقع أن رواية السقطي لم تكن قد كتبت متأخرة كثيراً منذ أن وصلت القوات المسيحية قرطبة في سنة 1236 وأنهت حركة النقل الإسلامي للرقيق في المدينة. وعوضاً عن حركة التجارة السابقة عبر أسواق قرطبة والمدن الأندلسية المستولى عليها، فقد تطورت التجارة إلى بيع الرقيق المسلم إلى مشترين مسيحيين. ويمثل هذا التبدل مظهراً واحداً من إعادة تنظيم الأسواق الأندلسية في القرن الثالث عشر. وبقدر ما أصبحت الأراضي الإسلامية في أيدي المسيحيين كابد الاقتصاد المحلي والصناعات والصادرات تبدلاً عميقاً فقضت الضرورة التماس حاجات وظروف جديدة. هذه التبدلات، والاستمرارية، ستناقش في الفصل الآتي.

(177) Saqati, Kitāb al-faqih, pp. 54-5. هذه الرواية هي خليط لروايتين للسقطي.